مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – العدد التَّاسع عشر

القادة العثمانيون اللاجئون إلى مصر في عهد محمد علي (١٨٠٦-١٨٢٧م)

د. محمد عبد العال محمد علي*

مُلَخَّص

تناول البحث موضوع القادة العثمانيين اللاجئين إلى مصر في عهد مُحمَّد علي، بعرض حالات اللُّجوء التي كانت نتيجة غضب السُّلطان العثماني عليهم، فعزلهم من ولايتهم، وصادر أملاكهم، وحكم بقتلهم، أو نتيجة خلافات الولاة مع أتباعهم، وقد تمَّ تتبُّع الظُّروف الخاصَّة التي أدَّت إلى لجوئهم، وتفسير أسباب لجوئهم إلى مُحمَّد علي، واستقباله لهم، والمكان الذي أنزلهم فيهم، ولقائه بهم، وشفاعته فيهم عند السُّلطان، ومصير الشَّفاعة سواء بقبولها أو رفضها، وتحليل دوافع الباشا لذلك، وما جناه من فوائد سواء على المدى القريب أو البعيد، وأثر بعض القادة في فكر الباشا وتنفيذ أهدافه وسياسته التَّوسُّعيَّة. وتطرَّق البحث إلى خمسة من القادة اللاجئين، وهم: مُحمَّد باشا أبو مَرق حاكم يافا وغزَّة، ويوسف باشا كَنْج والي الشَّام، ومُحمَّد آغا أبو نبُّوت حاكم يافا وغزَّة، والأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان، ومصطفى آغا بربر حاكم طرابلس، واختتم البحث بأهم النَّتائج التي تمَّ التَّوصُّل إليها.

Abstract

The research delves into the topic of Ottoman leaders who sought refuge in Egypt during the reign of Mohamed Ali. It examines cases of asylum that were the result of the Ottoman Sultan's anger towards them, leading to their dismissal from their positions, confiscation of their properties, and sentencing to death. Some cases also stemmed from conflicts between governors and their followers. The study tracks the specific circumstances that led to their seeking refuge, explains the reasons behind their choice of Mohamed Ali as a refuge, and details his reception of them, the places they were settled, his meetings with them, his intercessions on their behalf with the Sultan, and the outcomes of these intercessions, whether accepted or rejected. It also analyzes Mohamed Ali's motivations, the benefits he gained both in the short and long term, and the influence of some of these leaders on his thoughts and implementation of his expansionist policies. The research dealt with five refugee leaders: Mohamed Pasha Abu Marraq governor of, Yusuf Pasha Kunj governor of Damascus, Mohamed Agha Abu Nabbut governor of Jaffa and Gaza, Bashir II al-Shihabi governor of Mount Lebanon, Mustafa Agha Barbar governor of Tripoli. The research concluded with the most important results reached.

* مدرس التَّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التَّاريخ، كليَّة الآداب، جامعة الوادي الجديد.
البريد الأكاديمي: *Mabdelaal@art.nvu.edu.eg*

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – إبريل ٢٠٢٤م

مُقَدِّمَةٌ

يمثل عهد مُحمَّد علي (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) فترة بالغة الأهميَّة في تاريخ مصر، ومرحلة تحوُّلات خطيرة في تاريخها الحديث؛ نظرًا لكثرة ما شهدته من تغييرات جِذريَّة، وما تمَّ إنجازه من تحديثاتٍ في مناحي الحياة كافَّة، ورغم أنَّ هناك عددًا كثيرًا من الدّراسات والبحوث العربيَّة والأجنبيَّة التي غطَّت فترة حكمه، فما تزال بعض الموضوعات تحتاج إلى تسليطِ الضَّوء عليها ودراستها بشكلٍ مُنفرد؛ لتعطي صورة دقيقة عن دبلوماسيَّة الباشا وسياسته في التَّعامل مع بعض القضايا، وكيفية استغلاله لها وتطويعها لخدمة مصالحه وتحقيق أهدافه.

ومن هذا المُنطلق يأتي البحث ليناقش قضية لجوء القادة العثمانيين إلى مصر في عهد مُحمَّد علي، هؤلاء القادة الذين وقع عليهم غضب السُّلطان، نتيجة تقصيرهم في بعض المُهِمَّات المُسْندة إليهم، أو نزاعهم مع الولاة الآخرين وتسبُّبهم في إثارة الحُروب والإخلال بالأمن؛ فكان مصيرهم يؤول إلى العزل، ومصادرة أموالهم، وقطع رقابهم، لذا كانوا يفرون بأنفسهم ويتدبَّرُون أمرهم فيمَنْ ينقذهم، ويبحثون عن رُكن شديدٍ يأوون إليه، فلا يجدون إلَّا مُحمَّد علي.

وأهمية البحث تتجلَّى في الوقوف على مظهرٍ من مظاهر المنزلة الكبرى التي اكتسبتها مصر في عهد مُحمَّد علي، فلم يكن ولاة مصر في العصر العثماني لديهم المقدرة على استقبال حالات اللُّجوء المُماثلة والتَّشفُّع فيها عند الباب العالي، فالأمر لم يكن موجودًا أو مقبولًا، هذا على حدِّ علم الباحث بما وقف عليه من مصادرٍ ومراجعٍ لهذا العصر، ومن ناحيةٍ أُخرى يعرض الظُّروف التي لجأ فيها هؤلاء إلى مصر، ويُحلّل دوافع اختيارهم مُحمَّد علي دون غيره، كما يُبَيّن اقتران اللُّجوء بالشَّفاعة وطلب العفو عنهم عند السُّلطان، وهذا لا يتمّ إلَّا إذا كان الشَّافع له مكانة لدى المشفوع عنده، حتى يستطيع رفع ضرر أو جلب منفعة.

وأمَّا أسباب اختياره فترجع لعدم وجود دراسة مُنفردة تُعالج موضوع القادة اللاجئين إلى مصر في عهد مُحمَّد علي، رغم أنَّها شهدت عددًا من حالات اللُّجوء في فتراتٍ مُتقطِّعة من حكمه، وكان لبعضهم أثرًا في فكر الباشا وتنفيذ سياسته وتطلُّعاته.

والحقيقة أنَّ فكرة البحث تفتَّقت عندما لفت نظر الباحث رسالة من الصَّدر الأعظم إلى مُحمَّد علي في (٢٥ شعبان ١٢٣١هـ/ ٢٠ يوليو ١٨١٦م)، مفادها أنَّ هناك شخص يدعى مُحمَّد بن حسن باشا الأونه لي، **التجأ** إلى مصر والتحق بجيش إبراهيم باشا، وأنَّه لا بُدَّ من إلقاء القبض عليه وإرساله إلى الآستانة أو إعدامه في مصر «**خوفًا من أن يُقَال: إنَّ جميع المضغوط عليهم من قِبَل الدَّوْلة العَلِيَّة يَلْتَجئون إلى طَرْفكم**»[١]. وكان ذلك يعني أنَّ هُناك عددًا من القادة اللاجئين قبل هذا التَّاريخ، ورُبَّما بعده أيضًا؛ وعندئذٍ بدأت رحلة البحث في المصادر والمراجع للوقوف على حقيقة الأمر، ونكون على بصيرةٍ في تطلُّبه، وأسفر ذلك عن أنَّ الموضوع المذكور جدير بالدراسة، ويُمكن أن يُفرد في بحثٍ يناقش قضيَّته.

وتكمن إشكالية البحث في طرح عددٍ من التَّساؤلات، وهي: ما أسباب لجوء هؤلاء القادة العثمانيين إلى مصر في عهد مُحمَّد علي؟ وما موقفه منهم؟ وكيف استقبلهم؟ وأين أنزلهم؟ ولماذا تشفَّع لهم عند الدَّوْلة؟ وهل قُبِلَتْ شفاعته أم رُفِضَتْ؟ وهل قبول الشَّفاعة كاملة أم منقوصة؟ وهل كان لتباين مكانته أثرٌ في ذلك؟ وما المآرب التي كان يسعى إليها من هذه الشَّفاعة؟ وما الفائدة التي عادت عليه؟

---

[٢] **بحر برا**، محفظة (٤)، رَقْم ٦٤، من مُحمَّد رءُوف باشا إلى مُحمَّد علي باشا، بتاريخ (٢٥ شعبان ١٢٣١هـ/ ٢٠ يوليو ١٨١٦م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصرية: بيان بوثائق الشَّام وما يُسَاعد على فَهْمِهَا ويُوضِّح مقاصِد مُحمَّد علي الكبير**، مج. ١ (بيروت: المطبعة الأميركيَّة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م): ١٦.

وتجدر الإشارة أنَّ مصطلح اللاجئين المستخدم في البحث، قد وَرَدَ ذكره في المصادر والوثائق بصورته المفردة: لجأ، التجأ، لجوء، للدلالة على مفهومه المتعارف عليه لاحقًا في القرن العشرين[١]، فهو إذن قديم المنطوق، جديد الدلالة. وقد استخدم القادة العثمانيين، لأنَّ القادة الوارد ذكرهم، كانوا منتميين إلى الدَّوْلة العثمانيَّة بحكم التحاقهم في وظائفها، وتقلبَّهم في مناصبها العسكريَّة والإداريَّة.

اعتمد البحث على مجموعةٍ من الوثائق غير المنشورة المحفوظة في دار الوثائق القوميَّة بالقاهرة، مثل: دفاتر معية تركي، ومحافظ بحر برا، ووثائق الأرشيف العثماني* بإسطنبول، مثل: الخط الهمايوني (HAT) وهو تصنيف يجمع الوثائق الخاصَّة بفرمانات السُلطان وأوامره، إلى جانب عددٍ من الوثائق المنشورة، مثل: المحفوظات المَلَكِيَّة المصريَّة لجامعها أ. د أسد رُسْتم، وكذلك الأوامر والمُكاتبات الصادرة من مُحمَّد علي، بالإضافة إلى بعض المصادر المعاصرة باللُّغتين العربيَّة والتركيَّة العُثمانيَّة، فضلًا عن المراجع والأبحاث المتخصصة باللُّغتين العربيَّة والإنجليزيَّة.

وقد قُسِّم البحث إلى خمسة محاور رئيسة تطرَّقت إلى خمس حالات من القادة العثمانيين اللاجئين إلى مصر وموقف مُحمَّد علي منهم، وهم على النَّحْو الآتي:

أولًا– لجوء مُحمَّد باشا أبو مَرق حاكم يافا وغزَّة عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م).

ثانيًا– لجوء يُوسف باشا كَنْجْ والي الشَّام عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م).

ثالثًا– لجوء مُحمَّد آغا أبو نبُّوت حاكم يافا وغزَّة عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م).

رابعًا– لجوء الأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان عام (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م).

خامسًا– لجوء مُصطفى آغا بَرْبَر حاكم طرابلس عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م).

---

[٨] جيرار كورنو، **مُعجم المصطلحات القانونيَّة**، ترجمة: مصطفى القاضي (بيروت: المُؤسَّسة الجامعيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م): ١٣٢٨.

* أتوجَّه بخالص الشكر إلى الزميل د. مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد، مدرس التاريخ والحضارة العثمانية بقسم اللُّغات الشرقيَّة، كلية الآداب جامعة سوهاج، على قيامه بترجمة الوثائق العثمانيَّة.

أوَّلًا– لجوء مُحمَّد باشا أبو مَرق مُتَسَلِّم سَنْجق يافا وغزَّة عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م).

كان مُحمَّد باشا أبو مَرق[١] حاكم يافا وغزَّة أوَّل قائد لجأ إلى مصر، في السنة الأولى من ولاية مُحمَّد علي باشا، وترجع أسباب لجوئه إلى مصر، إلى أنَّه لمَّا استفحل خطر الوهَّابيين بغزوِ الحجاز لضمّ الحرمين الشَّريفين إلى دولتهم، وتأثَّرُ طريق الحج، عندئذٍ عرض مُحمَّد أبو مَرق – وكان من قبل يتولَّى على يافا وغزَّة والقدس – خدمته على الباب العالي بأن يُعيده إلى ولايته السابقة حتَّى يتمكَّن من إنفاذ حملة إلى الحجاز؛ لتأمين طريق الحج والقضاء على الوهَّابيين؛ فصدر فرمان من السُّلطان سَليم الثالث (١٢٠٣–١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩–١٨٠٧م) بتعيين أبي مَرق على ولاية جدَّة في (ربيع الآخر ١٢١٩هـ/ يوليو ١٨٠٤م)، وإرسال العساكر والأموال لتسهيل مَهَمَّته[٢].

وصدرت الأوامر إلى والي مصر[٣]، ووالي الشَّام لتقديم المساعدات اللازمة له، وكان أبو مَرق وقتئذ يرسل إلى السُّلطان والباب العالي يعدهم ويمنّيهم بإرسال الحملة[٤]،

---

[٢] **مُحمَّد باشا أبو مَرق:** مُحمَّد بن علي آغا ابن شعبان، وُلِد في النِّصف الثَّاني من القرن (١٢هـ/ ١٨م)، وتقلَّب في المناصب، وتولَّى حكم يافا وكان في صراعٍ مُستمرٍ مع أحمد باشا الجزار، وقد أُسْنِدَت إليه ولاية مصر لعدَّة أيَّام بعد خروج الفرنسيين من مصر، ولكن رَفَضَ الإنكشارية تعيينه، ثم أُسْنِدَ إليه حكم يافا وغزَّة عام (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م)، ثم عُزِلَ منها ونُفِيَ إلى حلب، وظلَّ فيها حتَّى قُتِلَ بأمرٍ من الباب العالي في حلب في (ذي الحجة ١٢٢٧هـ/ ديسمبر ١٨١٢م)، وقُطِع رأسه وأرسل إلى إسطنبول. يُنْظَرُ: عُثمان مصطفى الطباع الغزّي، **إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزَّة**، مج. ٤، تحقيق ودراسة: عبد اللَّطيف زكي أبو هاشم (غزَّة: مكتبة اليازجي، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م): ١٨١–١٨٧؛ عادل منَّاع، **أعلامُ فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠–١٩١٨م** (بيروت: مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينيَّة، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ٤٢–٤٥.

[٣] أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ٧ (درسعادت: ايكَنْجي طبعي، مطبعة عثمانيه، ترتيب جديد، ط ٢، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م): ٢٧٩.

[٤] **دفتر مُهِمَّة مصر**، رَقْم (١١)، حُكم (٤٦٣)، من الباب العالي إلى أحمد خورشيد باشا: ١٥٩؛ عبد الرَّحمن بن حسن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج. ٣، تحقيق: عبد الرَّحيم عبد الرَّحمن عبد الرَّحيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م): ٤٨٢.

[٥] مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد، «مُحمَّد باشا أبو مَرق وحملته على الدَّوْلة السُّعوديَّة الأُولى ١٢١٩–١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤–١٨٠٥م» (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، **مجلَّة الدَّارة**، ع. ٣، س. ٥٠، المُحرَّم ١٤٤٦هـ/ يوليو ٢٠٢٤م):

ولمَّا تبيَّنت الدَّوْلة أنَّ المذكور لن يقوم بالمطلوب، وأنَّه استغلَّ منصبه لجمع المال، وتوسيع نفوذه، وظلم الرعيَّة؛ فَصَدَرَ فرمان في (جمادى الآخرة ١٢٢٠هـ/ سبتمبر ١٨٠٥م) بعزله من الولاية، وقطع رأسه، وتحصيل الأموال التي جمعها، ومِمَّا وَرَدَ في فرمان عزله: «**لقد كَثُر شَاكُوك وقلَّ شَاكِرُوك؛ ولذلك صِرْت مُسْتَحقّ القِصَاص على ما قدَّمَته يَداك**» وكلَّف والي صيدا سليمان باشا[١] بِمُهِمَّة القبض على مُحمَّد أبو مَرق، فتحصَّن الأخير في يافا مُدَّة طويلة[٢].

وفي أثناء مُدَّة تحصُّنه أرسل أبو مَرق إلى والي مصر مُحمَّد علي (١٢٢٠–١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥–١٨٤٨م) يُعْلِمُهُ بما وقع عليه من غضب الدَّوْلة، ويطلب منه الشَّفاعة لدى السُّلطان، فأرسل إليه مُحمَّد علي يطمئنه، وأكَّد له «أنَّه قريبًا يحضر له الأجوبة المرغوبة، وأن يتشدَّد ولا يخشى من شيءٍ»، ولمَّا تأخَّرت الأجوبة، عاود أبو مَرق مُراسلة باشا مصر لاستعجال العفو عنه[٣]. ولمَّا طال الأمر، وشعر بضيق الخناق عليه جرَّاء طول مُدَّةِ الحِصار، أخذ ما استطاع حمله في (١٢ شوال ١٢٢٠هـ/ ٣ يناير ١٨٠٦م) وفرَّ إلى الشَّام[٤]، فاستقرَّ في حماة[٥]، ولم يطل المقام بها، ثم لجأ إلى مصر[٦].

---

[٢] **سليمان باشا:** من مماليك أحمد باشا الجزَّار، تولَّى إمارة الحج عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م)، ونجح في تأديتها دون الاصطدام بالوهَّابيين، ثُمَّ أسند إليه ولاية صيدا، ثُمَّ ولاية الشَّام بعد عَزْل يوسف باشا كَنْج، ثُمَّ عُزِلَ من ولاية الشَّام وبقي على ولاية صيدا، وهو من أشهر ولاتها في مطلع القرن الثَّالث عشر الهجري/ التَّاسع عشر الميلادي، توفي بمدينة صيدا في (١٤ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ٤ سبتمبر ١٨١٩م)، ودُفِنَ فيها. للمزيد، يُنْظَرُ: مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني ياخود تذكرهٔ مشاهير عثمانيه**، ج. ٣ (إستانبول: مطبعهء عامره، أولنمشدر، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م): ٩٤.

[٣] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا العادل: يشتمل على تاريخ فلسطين ولبنان ومدنه وبلاد العلويين والشَّام**، نشره وعلَّق عليه وألْحقه بعدَّة سندات: الخوري قسطنطين الباشا المُخلِّصي (صيدا: مطبعة دير المُخلِّص، ط ١، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م): ٨٢–٨٤.

[٤] إبراهيم العورة، **ولاية سُليمان باشا:** ٨٥–٨٦.

[٥] **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 81/3363، من سليمان باشا والي صيدا إلى الباب العالي، مؤرَّخة (١٥ شوَّال ١٢٢٠هـ/ ٦ يناير ١٨٠٦م).

[٦] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين: وهو الجزء الثَّاني والثَّالث من كتاب الغُرر الحِسان فِي أخبار أبناء الزمان**، عُني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مُقدّمته وفهارسه: أسد رُسْتم وفؤاد إفرام البُستاني (بيروت: منشورات مديريَّة المعارف العامَّة والفنون الجميلة، المطبعة الكاثوليكيَّة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م): ٤٣٦.

[٧] إبراهيم العورة، **ولاية سُليمان باشا:** ٨٧؛ عادل منَّاع، **أعلامُ فلسطين:** ٤٤.

ولعلَّ من الأهميَّة بمكانٍ طرح بعض التساؤلات، لماذا لجأ أبو مَرق إلى مُحمَّد علي؟ ومتى دخل مصر؟ وأين مكان إقامته فيها؟ وما موقف مُحمَّد علي منه إبَّان إقامته؟ وهل تشفَّع له الباشا عند السُّلطان العثماني؟ وكم مُدَّة إقامته في مصر؟

والحقيقة أنَّ المصادر لم تُقدِّم إجابة شافية، وما يمكن أن نتبيَّنه منها للإجابة عن التساؤلات. أمَّا سبب لجوء أبي مَرق إلى مُحمَّد علي فرُبَّما لأنَّه يحكُم كبرى الولايات العثمانيَّة، وقد يكون ذلك مقبولًا في فترة غير تلك الفترة، أو مع والٍ آخر غير مُحمَّد علي؛ ذلك لأنَّ الباشا لم يمرّ على ولايته سوى بضعة أشهر، ولم ينل بعد مكانة مرموقة لدى السُّلطان العثماني، بل كان ينظر إليه بعدم الرضا[١]، وبخاصَّة بعدما انتزع فرمان الولاية منه انتزاعًا.

وأمَّا فيما يتعلَّق بوقت دُخول أبو مَرق إلى مصر؛ فالأرجح أنَّه كان في شهر (المحرَّم ١٢٢١هـ/ أبريل ١٨٠٦م)[٢]، ولا نعرف على وجه التَّحديد أين كانت إقامته، وغالب الظن أنَّها كانت بعيدًا عن القاهرة، حتَّى لا يكون على مقربةٍ من الباشا ويُطالع عوراته. ولعلَّ ذلك يُفَسِّر عدم تطرُّق الجَبَرْتي لذكره، فلو أنَّه جاء إلى القاهرة ما كان

---

[٢] آتيلا جتين، **رؤية الوثائق العثمانية ولاية مُحمَّد علي باشا على مصر عام ١٨٠٥م**، ترجمة: مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد (بيروت: عالم الأدب، ط ١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م): ٢١١ وما بعدها.

[٣] حدَّد الباحث التاريخ المذكور بناءً على ما ورد في تقرير والي صيدا سليمان باشا إلى الباب العالي يفيد فيه أنَّ أبا مَرق هرب من يافا في (١٢ شوال ١٢٢٠هـ/ ٣ يناير ١٨٠٦م). يُنْظَرُ: **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 81/3363 من سليمان باشا والي صيدا إلى الباب العالي، بتاريخ (١٥ شوال ١٢٢٠هـ/ ٦ يناير ١٨٠٦م). وأضاف الشهابي أنَّ لُجُوءَهُ إلى حماة كان قبل عودة عبد الله باشا العظم بقافلة الحج في هذا العام، ولمَّا كانت عودة القافلة في شهر (صفر ١٢٢١هـ/ أبريل– مايو ١٨٠٦م)، فيكون تاريخ فراره قبل هذا التاريخ. حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٤٣٦. بجانب أنَّ هُناك رسالة رُفِعَتْ إلى الباب العالي في (٢٩ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٢٠ مارس ١٨٠٦م) تفيد احتمالية هُروب أبي مَرق إلى بغداد، ويطلب مُرسلها التَّوصية بقطع رأسه إذا وصل هُناك. يُنْظَرُ: **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 121/4907-***D*** مُرسل مجهول إلى الباب العالي، بتاريخ (٢٩ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٢٠ مارس ١٨٠٦م). أي أنَّه حتَّى تاريخ التَّقرير الأخير، لم يكن أبو مَرق لجأ إلى مصر، وعلى ذلك فإنَّ تاريخ لجوئه يقع بين التَّاريخين الأخيرين، وبهذا يكون التَّاريخ المُرجَّح أقرب إلى الصَّوابِ.

ليغفل ذكره؛ فما كان يترك صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها في تاريخه، وقد يكون قدوم أبي مَرق سرًّا، ولم يكن مُعلنًا، أو أن الأحداث الجسام التي كانت تمرُّ بها القاهرة خاصَّة ومصر عامَّة جعلت الجَبَرْتي يغفل عنه ولا يهتم بذكره.

وأمَّا موقف الباشا من أبي مَرق، فالواضح أنَّه أهمله، بدليلٍ هو عدم اهتمام المصادر المعاصرة لذكر تفاصيل عنه إبَّان وجوده في مصر، وهذا يجعلنا نعرِّج إلى سؤال آخر هو لماذا وافق الباشا على قدومه ثم أهمله؟ لعلَّه أراد أن يستعمله في بعض أغراضه، ثم أدرك أنَّه أمام خِيَار خطأ؛ وبخاصَّة إذا علمنا أنَّ الأخير كان مُرشَّحًا لولاية مصر عقب خروج الفرنسيين عام (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)[١]، ورُبَّما ظنَّ الباشا أنَّ لُجُوءَهُ إليه مكيدة من الباب العالي؛ للإطاحة به. وقد تكون هذه الشكوك أثيرت في خَلد الباشا تجاه وجود أبي مَرق في مصر. وهكذا يمكن القول: إنَّ إهمال الباشا له رُبَّما عن قصد؛ نتيجة بعض الشكوك نحوه، ورُبَّما كان إهماله دون قصد؛ نتيجة انهماكه بعوامل خارجة عن إرادته؛ مثل: المؤامرات الداخليَّة، والأخطار الخارجية التي باتت تحيطه.

على أيَّة حال، استقرَّ أبو مَرق في مصر بضعة أشهرٍ، ثم انتقل إلى حلب، «**بعد أن عَفَت الدَّوْلة عن دَمه**»[٢]، وهذا يعني أنَّ العفو عنه لم يكن شاملًا، بل كان مُجَرَّد عفو عن قَطْع رأسه، ولم يَرْجع إلى ولايته مرَّة أخرى. وتذكر بعض المصادر أنَّ أبا مَرق كان مأمورًا بالإقامة في حلب[٣]؛ أي أنَّه وُضِعَ قيد الإقامة الجبريَّة.

وهكذا خرج أبو مَرق من مصر بعد أن عُفِيَ عنه، فهل كان لمُحمَّد علي يد في هذا العفو؟ رغم عدم وجود ما يؤيّد ذلك أو ينفيه فإنَّ لدى الباحث حَدْس عقلي على غير

---

[٢] عبد الرَّحمن بن حسن الجَبَرْتي، **مَظهرُ التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، تحقيق: عبد الرَّحيم عبد الرَّحمن عبد الرَّحيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م): ٢٨٤؛ عزت حسن أفندي الدارندلي، **الحملة الفرنسيَّة على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوطة ضيا نامه**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين (١٣٤)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م): ٣٨٦.

[٣] إبراهيم العورة، **ولاية سُليمان باشا**: ٨٧–٨٨؛ عادل منَّاع، **أعلامُ فلسطين**: ٤٤.

[٤] شاني زاده مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج. ٢ (إستانبول: ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م): ١٦٣؛ أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ١٠: ٨٧.

يقين، رُبَّما يؤكد أنَّ الباشا لم يتشفَّع في أبي مَرق؛ ففي مرحلةٍ لاحقةٍ سوف يتشفَّع مُحمَّد علي في والي الشَّام يوسف باشا كَنْج – كما سيأتي ذكره – وكان هو الآخر مغضوبًا عليه من السُّلطان، ولمَّا لقي الباشا تعنيفًا من السُّلطان على شفاعته فيه، جاء ردَّه أنَّه لم يَجْرُؤ على ذلك إلَّا بعدما عَلِمَ بشفاعة والي بغداد علي باشا الثاني[١] في والي الشَّام عبد الله باشا العظم[٢]، الذي كان مغضوبًا عليه[٣] من السُّلطان[٤].

---

[٢] **علي باشا الثاني:** علي باشا الثاني ويُعْرَف بالكهية؛ لأنَّه كان كَتْخُدا والي بغداد سليمان باشا. تولَّى حكم بغداد عام (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) بعد وفاة سيّده ووالد زوجه سليمان الكبير الذي أوصى له بالولاية، كانت فترة حكمه مليئة بالقلاقل والاضطرابات، تعرَّضت العراق في عهده إلى عدَّة هجمات قام بها الوهَّابيون، وصدرت الأوامر مِن الباب العالي إليه بإعداد جيش للتَّعاون مع والي الشَّام أحمد باشا الجزار لاسترداد الحَرَمين الشَّريفين مِن أيدي الوهَّابيين. قُتِلَ على يد أحد أعدائه من الكُرج سنة (١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م). يُنْظر: رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، نقله عن التُّركيَّة: مُوسى كاظم نورس (بيروت: دارُ الكاتب العربي، د. ط، د. ت): ٢١٨–٢٣٨؛ علي الوردي، **لمحات من تاريخ العراق**، ج. ١ (قُم: انتشارات الشَّريف الرضي، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م): ١٩٧–٢٠٧.

[٣] **عبد الله باشا العظم:** عبد الله باشا ابن مُحمَّد باشا العظم. ينتمي إلى أسرة العظم التي حكمت ولاية الشَّام في القرن (١٢هـ/ ١٨م). وُلِدَ في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، أسندت إليه ولاية الشَّام ثلاث مرَّات في الفترة بين عامي (١٢١٠–١٢٢٢هـ/ ١٧٩٥–١٨٠٧م)، وفي تلك الفترات كان يتولَّى أحمد باشا الجزَّار الذي كان في صراع معه على حُكم الشَّام. وفي أخر ولاية عجز عن أداء فريضة الحج عام (١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م)، بعد ضمّ الحجاز إلى الوهَّابيين، فعُزِلَ عن الشَّام، ثم تولَّى الرَّقة وعُزِلَ، وأُمِرَ بالإقامة في حماة عام (١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م)، ومات فيها بعد هذا التَّاريخ. يُنْظر: رَسْلان بن يحيى القاري، **الوزراء الذين حكموا دِمشق**، منشورٌ في كتاب ولاة دمشق في العهد العثماني، جمعها وحقَّقها ونَشَرها: صلاح المنجد (دمشق: د. ن، د. ط، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م): ٩٠؛ حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٤٠٥، ٤٣٤–٤٣٥، ٥٢١، ٦٠٣؛ مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني**، ج. ٣: ٣٩٣.

[٤] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم (٨١)، غُرَّة المحرَّم ١٢٢٧هـ/ ١٦ يناير ١٨١٢م.

[١] أصدر السُّلطان سليم الثالث فرمانًا عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) بعزل عبد الله باشا العظم عن ولاية الشَّام، ففرَّ إلى ولاية بغداد، وأقام عند علي باشا الكهية، الذي تشفَّع فيه عند السُّلطان، فقبلت

وعلى ذلك يمكن القول: إنْ كان مُحمَّد علي قد تشفَّع في أبي مَرق، فكان الأولى أن يستشهد بشفاعته فيهِ، وليس بشفاعة والي بغداد في والي الشَّام. أو رُبَّما يكون مُحمَّد علي تشفَّع فيه عند السُّلطان ولم تُقبل شفاعته، والأرجح الأُولى لأسباب عدَّة: منها أنَّ الظُّروف لم تكن في صالح الباشا بأي حال من الأحوال سواء في مشاكله الداخليَّة أو الأخطار الخارجيَّة، كما أنهَّ لم يكن نال المكانة التي يتشفَّع بها في أحدٍ عند الدَّوْلة، فضلًا عن أنَّه خَشِيَ من أن يُتَّهم بإيواء المغضوب عليهم من السُّلطان، ولم يكن أكمل سنة واحدة في ولايته.

ويبدو أنَّ مُحمَّد أبا مَرق لمَّا رأى إهمال الباشا طَرَقَ أبواب غيره، واستطاع بطريقة أو بأُخرى الحصول على عفوٍ من السُّلطان، ورُبَّما كان لعَلاقاته السَّابقة التي كوَّنها أثناء وجوده في إسطنبول أثرٌ في استصدار ذلك العفو؛ فخرج إلى حلب، ووُضِعَ فيها قيد الإقامة الجبريَّة، حتَّى قُتِلَ في شهر (ذي الحجة ١٢٢٧هـ/ ديسمبر ١٨١٢م).

شفاعته، وأُعِيدَ مرَّة أخرى إلى ولاية الشَّام عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م). يُنْظَرُ: ياسين خَير الله العُمري الخطيب الموصلي، **غايةُ المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السَّلام** (بغداد: دار منشورات البصري، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): ٢٠٤؛ يعقوب سركيس، **مباحث عراقيَّة في الجغرافية والتَّاريخ والآثار وخطط بغداد**، تقديم: مُحمَّد رضا الشبيبي (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط ١، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م): ٦٣؛ حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٤٠٥، ٤٣٤–٤٣٥.

ثانيًا– لجوء يوسف باشا كَنْجْ والي الشَّام عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م).

أُسندت ولاية الشَّام إلى يوسف باشا كَنْج[١] في (صفر ١٢٢٢هـ/ أبريل ١٨٠٧م)، على إثر فشل عبد الله العظم في أداء فريضة الحج (ذي الحجة ١٢٢١هـ/ فبراير ١٨٠٧م)[٢]؛ نتيجة سيطرة الوهَّابيين على الحجاز[٣]؛ وجاء في فرمان الولاية من السُّلطان سليم الثالث بضرورة بذل قصارى الجهد لإعداد حملة عسكريَّة لاسترداد الحرمين الشَّريفين، وقطع دابر الوهَّابيين واستئصال شأفتهم من هذه البقاع المُقَدَّسَة[٤]، ولكن انشغل يوسف كَنْج بمدِّ نفوذه في الشَّام عن مُهِمَّته التي أوكلت إليه، حتَّى قام الوهَّابيون بحملة خاطفة على بعض نواحي الشَّام[٥]؛ الأمر الذي أدَّى إلى غضب السُّلطان محمود

---

[٢] يوسف باشا كَنْج: كَنْج معناه: الشاب. أصله من الأكراد، وُلِدَ في النصف الثَّاني من القرن (١٢هـ/ ١٨م)، ثم هَرَبَ من أهله إلى الشَّام، وهو في سنِّ الخامسة عشر، وأقام في حماة، ودخل في خدمة بعض رجالها، ثم رحل إلى غزَّة وخدم مُتَسَلِّمها، ثُمَّ رَحَلَ إلى دمشق وخَدَمَ عبد الله باشا العظم، فعيَّنه دالي باشي على الخيَّالة، ثم أُسْنِدَت إليه ولاية الشَّام عام (١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م)، وصَدَرَ الأمر له باسترداد الحجاز، واشتهر في دمشق بعدله، ونشر الأمن، والقضاء على البدع، ولكِنَّه لم يحقق نجاحًا في حرب الوهَّابيين، أو حتى إعادة قافلة الحج؛ فَصَدَر الفرمان بعزله وقتله، فلجأ إلى مُحمَّد علي في مصر، فأحسن استقباله، مات في القاهرة (٢٠ ذو القعدة ١٢٣١هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٦م)، ودُفِنَ بمقابر الباشا في الشَّافعي. يُنْظَرُ: عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤١٢–٤١٧؛ حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٥٢٠–٥٢١، ٥٢٣– ٥٢٥؛ مُحمَّد ثُريا، **سجل تاريخي**، ج. ٤: ٦٦٩؛ عبد الرزَّاق البَيْطَار، **حِلية البشر في تاريخ أعيان القرن الثَّالث عشر**، ج. ٣، حقَّقه وعلَّق عليه: مُحمَّد بَهْجَة البَيْطَار (دِمشق: مطبوعاتُ مجمع اللُّغة العربيَّة، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م): ١٥٩٦–١٦٠٢.

[٣] ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان من سنة ١١٩٢ إلى سنة ١٢٥٧هجرية (١٧٨٢–١٨٤١مسيحية)**، عُني بنشرهِ وتعليق حواشيه ووضع فهارسه: لويس معلوف اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م): ١٨–١٩.

[٤] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا**: ٨٩؛ ميخائيل الدمشقي، **حوادث الشَّام ولبنان**: ٣٥.

[٥] **الأرشيف العُثماني**، ***HAT.*** 3840؛ مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج. ١: ٣٨٩.

[٦] أحمد فؤاد متولي، **آل سُعود والشَّام في عهد الدَّوْلة السُّعودية الأولى على ضوء الوثائق التركيَّة** (القاهرة: دارُ الزَّهراء للنَّشر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ٨٣.

الثاني، وأصدر فرمانًا «بعزله عن منصب الشَّام، ورفع شرف الوَزارة عنه، وقطع رأسه، وضبط أملاكه»[١].

وصدرت الأوامر إلى سليمان باشا والي صيدا بتنفيذ الفرمان[٢]، ورَفَضَ يوسف كَنْج الانصياع، ووقع بينهما القتال في (رجب ١٢٢٥هـ/ أغسطس ١٨١٠م)، وهُزِمَت قوات الأخير، وعَزم على الفرار بنفسه والنَّجاة[٣]، ولمَّا انتشر هذا الخبر قامت عساكره بنهب جزءٍ من أمواله ومتاعه، فهرب بما بَقِيَ معه، مع بعض أتباعه، فتنقَّل بين بعض البلدان، حتَّى انتهى به المطاف بعد شهرٍ إلى اللاذقيَّة[٤]، ولمَّا ضاقت عليه الشَّام بما رَحُبَتْ[٥]، أرسل إلى مُحمَّد علي يستأذنه في الحضور إلى مصر، فكتب إليه الباشا بالموافقة والتَّرْحيب به[٦].

وهُنا تُطرح عدَّة تساؤلات: لماذا تأخَّر يوسف كَنْج في اللُّجوء إلى مصر فهل كان يُمَنِّي نفسه بأن يرجع إلى ولاية الشَّام بعد أن يجمع قوّاته؟ وهل حاول يوسف كَنْج اللُّجوء إلى بعض ولاة الدَّوْلة حتَّى يتشفَّعوا له، فلم يُرحَّب به عندهم، كي لا يطولهم غضب السُّلطان، ويُتَّهموا بإيواء المغضوب عليهم منه؟ ولماذا التجأ يوسف كَنْج إلى مُحمَّد علي دُون غيره بعد شهر من عزله من الشَّام؟ وكيف استقبله الباشا؟

---

[٢] مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج. ١: ٣٩٠–٣٩١؛ أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ٩: ٢٠١–٢٠٤، ٣٠٤–٣٠٥.

[٣] أسامة مُحمَّد أبو نحل، «التَّهديد الوهَّابي على بلاد الشَّام وأثره في تولي سليمان باشا ولاية دمشق» (غزَّة: **مجلَّة جامعة الأزهر**، سِلسلة العلوم الإنسانيَّة، ع. ١، مج. ٩، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م): ٣١٩.

[٤] مخائيل مشاقَّة، **مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان**، منشئاهُ: ملحم خليل عبدو، وأندراوس حنَّا شخاشيري (مصر: د. ن، د. ط، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م): ٦٨–٦٩.

[٥] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٥٥٩؛ ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام**: ٢٥–٢٨.

[٦] حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد: قطعة منه حوادث سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١هـ**، حقَّقه: يوسف جميل نعيسة (دمشق: منشورات وزارة الثَّقافة والإرشاد القومي، سلسلة إحياء التُّراث العربي (٥٢)، د. ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م): ١٥٣.

[٧] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤١٧.

أمَّا عن إجابة السؤال الأوَّل فلعلَّ ذلك الأمر كان يَجُول في خاطره، حيث ذكر أحد المُعاصرين أنَّ يوسف كَنْج لمَّا وصل إلى اللاذقيَّة «تحقَّق انحراف الدَّوْلة عَليهِ»[١]، وفي ذلك ما يوضح أنَّ الباشا كان يظن أنَّ الحرب بينه وبين والي صيدا كانت ضد رغبة الباب العالي، فلمَّا وقف على الحقيقة وبلغه الأمر السُّلطاني بتتبعه وقطع رأسه؛ أدرك أنَّ عفو السُّلطان عنه وإعادته إلى ولايته صار مُستحيلًا؛ نتيجة الوشايات التي صدَّرها إلى الباب العالي سليمان باشا والي صيدا[٢].

وأمَّا إجابة السؤال الثَّاني فيتخلَّلها بعض الغموض، وبخاصَّة أنَّ المصادر سكتت عنها ولم توضّحها، ولكن يُفْهَم من سياق تنقلات يوسف باشا بين عددٍ من البلدان الشَّاميَّة، وعدم مكوثه فيها سُوى أيَّام معدودات؛ أنَّه لم يُرحَّب به فيها أو أنَّه لم يأمن على نفسهِ البقاء في هذه البلدان فكان دائم التَّنقل، ثُمَّ اهتدى إلى مُراسلة والي مصر مُحمَّد علي، وهذا يأخذنا إلى الإجابة عن أسباب التجائه إلى الباشا، ودوافع ترحيب الأخير به، وقد أوجز الجَبَرْتي بعضها في قوله: «**حَضَر إلى مصر مُلْتَجِأً لواليها مُحمَّد علي باشا؛ لأنَّ بينهما صَداقة ومُراسلات**»[٣]، وهذا الإيجاز يحمل بين طيَّاته كثيرًا من التَّفاصيل، حيث توطَّدت العَلاقة بين الجانبين من خلال مُراسلات تُبُودِلَتْ بينهما لوضع خُطة الهجوم على الوهَّابيين؛ اقترح فيها يوسف باشا إنفاذ حملة ثُلاثيَّة من دمشق، وبغداد، والقاهرة إلى الجزيرة العربية لاسترداد الحرمين من الوهَّابيين وتحطيم عاصمتهم الدرعيَّة، والقضاء عليهم قضاءً مُبرمًا[٤].

ونلحظ في هذه المُراسلات أنَّ يوسف كَنْج كان شديد الإجلال والتَّعْظيم للباشا، ويُطْلعه على كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ قبل أن يقطع بها، ويقدِّم له كافَّة الأخبار التي تصل إليه من قِبَلِ عيونه في أطراف الحجاز، ويعتذر منه إذا عمل عملًا وشعر أنَّه لم يوافق هواه، ومن ذلك اعتذاره له عندما سبقه في مُراسلة شريف مكة، فيقول له: «وإنني لئن كُنْت قد

---

[٢] ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان**: ٢٨.

[٣] **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان**: ٢٥.

[٤] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ١٩٧.

[٥] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٨، بتاريخ (١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م).

تسرَّعت في كتابة رسالتي هذه للشَّريف وسبقتكم في كتاباتها إليه قبل أن أستشيركم في الصِّيغة أو الأُسلوب الذي يُسْتَحْسَن أن نكتبها له به، حتَّى يَنْسَجِم الكلام المكتوب له في رسالتي... والمصلحة نفسها قد اقتضت أن أكون أنا الأوَّل في كتابة رسالتي للشَّريف، وأن أبعث بها إليكم، ولِتَطَّلِعُوا عليها يتبيَّن لكم من ثنايا سُطُورها صواب الرَّأي الذي أُبْديه لدولتكم»[١].

وفوق كُلّ ذلك فإنَّ عبارات الرَّسائل صيغت بلغةٍ يفوح منها الانقياد، ويكأنَّه تابعٌ يدور في فلك الباشا، وتجعلك تتساءل هل أرسلها يوسف كَنْج إلى والٍ آخر مثله؛ أعني مُحمَّد علي، أمْ إلى السُّلطان؟ ومن ذلك قوله: «يا سيِّدي يا مَن شعاره المُرُوءة والإنسانيَّة، يا مَن يُبادر إلى إغاثة الملهوف، وإنقاذ مَن حلَّت به الضَّائقة... ونظرًا لأني أُحبُّ دولتكم حُبًّا صادقًا، يَنْبعث من قرارة فؤادي في الظَّاهر والباطن، ولأنِّي أعتبركم في الوقت نفسه كذلك أخي الأكبر الذي سما مقامه العالي في سماء المجد... فأرجو أن أكون عند حُسن ظَنّ دولتكم وموضع عطفكم كذلك»[٢]. وكان يوافيه بكافَّة التطورات في الشَّام أوَّلًا بأوَّل حتَّى قُبَيل أيام من فراره، فقد أخبره بغزو الوهَّابيين لولايته[٣].

على أيَّة حال، نزل يوسف كَنْج وبعض أتباعه في مركبٍ أبحرت من اللاذقيَّة بساحل الشَّام[٤]، ورست في ثغر دمياط شمالي مصر في (٣ شعبان/ ٣ سبتمبر)، ولمَّا وصلت أنباء قُدومه إلى مُحمَّد علي أرسل له الباشا من لدنه أحد أخصّ أتباعه، الذي صحبه في الطَّريق إلى القاهرة، ووصلها يوم الجمعة (١٤ شعبان/ ١٤ سبتمبر)، فاستقبله الباشا استقبالًا حافلًا بقصره في شُبْرا، وضُرِبَتْ المدافع احتفاء به، ثم أنزله بدارٍ واسعةٍ على بركة الأزبكيَّة، وأكرمه إكرامًا كبيرًا، حيث عيَّن له ما يكفيه، وأرسل إليه خيولًا، وقماشًا، ومالًا، ورتَّب له المُرَتَّبات، وأنعم عليه بجواري[٥]. ولا ريب في أنَّ هذا الاستقبال

---

[٢] د. و. ق، **بحر برا** محفظة (١)، رَقْم ٢١، بتاريخ (١٩ ذو الحجة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م).
[٣] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٨، بتاريخ (١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م).
[٤] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٩٦، بتاريخ (٢٨ جمادى الآخرة ١٢٢٥هـ/ ٣١ يوليو ١٨١٠م).
[٥] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٥٦٤.
[٦] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ١٩٧، ١٩٨، ٤١٧.

يدلّ على عِظَم منزلة يوسف كَنْج عند الباشا، وكان لإنزاله على مقربةٍ منه في القاهرة مقرّ حكمه دِلالة على الثِّقة التي يوليها إليه.

لم يتأخَّر مُحمَّد علي في رجاء الشفاعة في يوسف كَنْج والصَّفح عنه؛ ففي (٥ شعبان/ ٥ سبتمبر) أرسل إلى الباب العالي يلتمس العفو عنه، وإعادة تعيينه واليًا على الشَّام [١]، ونلحظ أنَّ هذا التَّشفع بدأ عقب وصول يوسف كَنْج إلى دمياط، وقُبيل وصوله إلى القاهرة، مِمَّا يوضح الأهميَّة التي ينطوي عليها هذا الأمر لمُحمَّد علي. ثم أتْبع ذلك برفع رسالة أُخرى إلى الباب العالي، يضع بين يديه تطوُّر الحوادث في مصر، وانتهز الفرصة وكرَّر طلب العفو عن يوسف كَنْج بمناسبة التجائه إلى الباشا، فقد «بَقِيَ ضيفًا مُعَزَّزًا مُحْتَرمًا»، ويرجو رعاية واحترام زَوْج كَنْج باشا، وحفظ كافَّة مُتعلَّقاته التي ما تزال موجودة في الشَّام[٢]، وكان الباشا يُبَرِّر ضرورة إرجاعه إلى الشَّام لأسباب عسكريَّة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحملة؛ إذ إنَّ مجموعة كبيرة من الفرسان في الشَّام كانت منضوية تحت لوائه، ورَفَضَتْ السَّيْر إلى الحجاز، حتَّى يعود قائدها القديم إلى ولايته[٣].

واتَّضح للباشا أنَّ لجوء يوسف كَنْج إليه ليس بأمرٍ هيّنٍ، ولن تكون محاولة استصدار أمر العفو عنه مُمَهَّدَة، ويبدو أنَّه تلقَّى تعنيفًا شديدًا من الباب العالي، وهذا ما يتجلَّى أثره في رسالة مُحمَّد علي التي أرسلها إليه، والتي برَّر فيها دوافع جُرأته على طلب العفو عن كَنْج باشا، فقال: «ابتدرتُ إلى الشَّفاعة في حق يوسف باشا كَنْج حِسْبة لله... وحيث التجأ هذا البريء إلى مُخلصكم، **وهو يَعُدُّني مَسْمُوع الكَلِمَة، مُعتبرًا لدى الدَّوْلة العَلِيَّة**، أرجُو أن تقترن شفاعة هذا العاجز في حقِّ المُشَار إليه – الذي لا ذنب

---

[٢] أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م): ٢٢٤.

[٣] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٤٩، بتاريخ (١٩ شعبان ١٢٢٥هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨١٠م)؛ **ميعة تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٤٣، بتاريخ (٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٨١٠م).

[٤] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون ١٨٠٧–١٨١٤م: مراسلات قناصل فرنسا في مصر**، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، مُراجعة وتقديم: رءوف عبَّاس حامد (القاهرة: المركز القومي للتَّرجمة، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م): ٢١٦–٢١٧.

له بالقبول – لدى الحضرة الملوكيَّة»[١]. ظنَّ الباشا أنَّ رسالته سوف تؤدي إلى تحسُّن الأمور، ولكن أتت الرِّياح بما لا يشتهيه، فأصبح الأمر أكثر سوءًا، وبخاصَّة بعد صُدور فرمان من السُّلطان محمود الثَّاني إليه بإعدام كَنْج باشا، وإرسال رأسه إلى إسطنبول، وأخبره «إنَّ أبواب الشَّفاعة مَسْدُودة من كُلِّ الوجوهِ؛ لأنَّ الإرادة السُّلطانيَّة تقضي بِمُجَازاته... وقد صَدَرَ هذه المرَّة أمر عالٍ خطابًا لمشيريتكم بتنفيذ الجزاء المُرتَّب على الباشا المَرْقُوم، وإرسال رأسه المقطوع إلى محلِّ مقرِّ صاحب الشَّوكة» [٢].

صار مُحمَّد علي في موقفٍ لا يُحْسَد عليه، فقد رُفِضَ رجاؤه في يوسف كَنْج وشفاعته، وصدر الأمر له بضرورة قطع رأسه وإرسالها إلى السُّلطان، وتحتَّم عليه أن يتمهَّل، ويُعاين الأمر بِرَوِيَّة، ويبحث عن مخرجٍ منه، حتَّى لا يغضب السُّلطان، ووجد الباشا الفرصة سانحة بعد أن وقعت في يديه رسالة أرسلها سليمان باشا والي الشَّام إلى المماليك في مصر[٣]، فقام بإثارة مسألة العفو عن يوسف كَنْج من خلال مُطالبته بعزلِ سليمان باشا، واتَّهمه بأنَّه يحبُّ المماليك، ويقوم بمُراسلاتهم – بعد أن قام مُحمَّد علي بكسرِ شوكتهم – ويعمل على تحريضهم ضدَّه، ويُرَحِّب بالفارّين منهم إلى الشَّام[٤]، وأنَّ كُل ذلك من شأنه أن يؤدِّي إلى تأخُّر المصلحة الخيريَّة بإرسال الحملة إلى الحجاز.

وأضاف الباشا أنَّه يَخشى إذا خَرَجَ على رأس الحملة البريَّة، فيقوم سليمان باشا بتقديم المساعدة المماليك في مصر؛ فيقع ما لا يحمد عُقباه، كما لوَّح بأنَّه إذا ظلَّ المذكور في ولاية الشَّام؛ فإنَّه سوف يرسل الحملة البحريَّة فقط، ويبقى في القاهرة [٥]، ثُمَّ أخبر الباب العالي بأنَّ والي الشَّام أرسل إلى المماليك في السُّودان يقول لهم: «لا تأْسفوا، فأنا سأريحكم قريبًا إن شاء الله»[٦]. كما وقع بيدي الباشا وهو في السويس – أثناء

---

[٢] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٤٤، بتاريخ (غُرَّة رمضان ١٢٢٥هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٨١٠م).
[٣] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٤٨، بتاريخه (١٢ رمضان ١٢٢٥هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٠م).
[٤] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون:** ٢١٦.
[٥] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٤٨، بتاريخ (٥ شوال ١٢٢٥هـ/ ٣ نوفمبر ١٨١٠م).
[٦] د. و. ق، **ميعة تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٥١، بتاريخ (٢٧ شوال ١٢٢٥هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٨١٠م).
[٧] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٥٦، بتاريخ (٥ ذو الحجة ١٢٢٥هـ/ يناير ١٨١١م).

غيبته عن القاهرة – مُراسلات أرسلها الإنجليز إلى المماليك في الصَّعيد من خلال سليمان باشا[١]، ويبدو أنَّ الباشا شعر بمُؤامرة تُحاك ضدَّه فاندفع إلى العودة إلى القاهرة بمساعدة أحد البدو لِيَدُلَّه على الطَّريق، فقطع المسافة في إحدى عشرة ساعة على هجين، ودخل القاهرة في (٢ صفر/ ٢٦ فبراير)[٢].

وما بين يدي الباحث من مصادر لا يُقدِّم ما يدل على التَّسْليم بصحَّة هذه المُراسلات أو كذبها، ولا ريب إن كانت هذه المُراسلات صحيحة فإنَّ الباشا له عذره؛ لأنَّ ذلك قد يكون بداية مؤامرة من ثلاثةٍ من ألدِّ أعدائه، رُبَّما ينتج عنها الإطاحة به، وما حملة فريز Fraser (١٨٠٧م) منه ببعيدٍ. وأمَّا إن كانت هذه المُراسلات كاذبة من اختراع الباشا وترويجه، فإنَّ ذلك له دلالةٌ واضحةٌ أنَّه أراد تقديم صورة واقعية للباب العالي بأنَّه واقع بين شِقَّي الرَّحى، واجتمع عليه أعداؤه في الدَّاخل والخارج، ويدلّ أيضًا على أنَّه ما انفَكَّ يختلق الرَّسائل المُزيَّفة حتَّى يُحقِّق مُبتغاه بالعفو عن يوسف كَنْج وإعادته إلى ولاية الشَّام.

لا ريب أنَّ مُحمَّد علي في تلك الآناء تأزَّم وضعه وساءت صورته عند الباب العالي، فمن قَبْلُ كان يتحجَّج بالمماليك لتأخُّر إخراج حملة الحجاز، ثم قام بإيواء يوسف كَنْج وهو من المغضوب عليهم من السُّلطان، وبدأ يتشفَّع فيه لإعادته إلى ولاية الشَّام وعَزْل سليمان باشا عنها حتَّى يتسنَّى له إتمام الأمر، كما أنَّه لم يمدّ يد العون للدَّوْلة العثمانية إبَّان حربها ضد روسيا، رغم المُطالبات العديدة التي أُرْسِلَتْ إليه، فيعتذر عن تلبيتها[٣]، ولم يكن ذلك كُلَّه يُرجِّح كِفَّته، بل رُبَّما يكون عاقبته الإطاحة به، وهذا ما ظهر أثره؛ فقد استغلَّ بعض أعدائه في إسطنبول هذا الأمر، فقالوا للسُّلطان: «لقد كان يَجعل المماليك حُجَّةً في وقتٍ ما، أمَّا الآن فهو ابتدأ يتَّخذ مَسْألَتَي الشَّام ويوسف باشا سببًا،

---

[٢] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون:** ٢٤٤.

[٣] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٢٠٦.

[٤] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٤٦، بتاريخ (١٨ رجب ١٢٢٥هـ/ ١٩ أغسطس ١٨١٠م) **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٧٩، بتاريخ (١٦ رمضان ١٢٢٥هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٨١٠م).

ولو صَدَرَ الأمر بإنجاز هاتين المَسْألَتَين فكذلك لا تحصُل فائدة ما»[١]. وهكذا كانت الأُمور تسير في تقدُّم مُطرد في إسطنبول ضد مُحمَّد علي في غير صالحه؛ نتيجة تمسُّكه بالعفو عن صديقه كَنْج باشا وإعادته إلى ولاية الشَّام وعزل سليمان باشا.

وفي الحقيقة إنَّ الحُجَج التي ساقها الباشا لم تكن واهية؛ لأنَّ مَن يُطالع حوادث هذه الفترة يُدرك كثرة الاضطرابات التي تسبَّب فيها المماليك، حتَّى أصبحوا شغله الشاغل، ومنهم مَن كان يُؤمِّنُهم، ثم ما فتئوا أن انقلبوا عليه، وحاكوا ضده كثيرًا من المؤامرات[٢]، وأمَّا إصرار الباشا على عزل سليمان باشا عن الشَّام وتولية يوسف كَنْج بدلًا منه – رغم أنَّ ذلك رُبَّما يُكون له عواقب وخيمة عليه كما ذُكِرَ آنفًا – فبعيدًا عن الأسباب التي ساقها مُحمَّد علي لعزل المذكور، فإنَّه كان لهذا العداء حقائق أخرى، وهي

أولًا– إنَّ سليمان باشا لم يعر مُحمَّد علي اهتمامًا، ولم يتواصل معه بخصوص الحملة المزمعة على الحجاز، كما لم يهتم بإعداد قوَّاته للمشاركة بها، وبخاصَّةٍ بعد أن وصلته الأخبار عن حجم القوَّات التي أعدَّها مُحمَّد علي، وأنَّه سوف يُرسلها إلى الشَّام لإعادة يوسف كَنْج [٣].

ثانيًا– أنَّه سعى سعيًا حثيثًا للحطِّ من شأن مُحمَّد علي، من خلال تقاريره التي يرفعها للباب العالي[٤]؛ حتَّى يُوغر صدر السُّلطان عليه، وهذا ما نجد صداه فيما كتبه وكيل الباشا في إسطنبول وأرسله إلى القاهرة، حيث أخبر الباشا أنَّه اجتمع مع أحد كبار رجال الدَّوْلة، وذكر له أنَّ مُحمَّد علي خلال الأزمة التي كانت تمر بها الدَّوْلة أثناء حربها ضد روسيا لم يقدم أيَّة مساعدة، على عكس

---

[٢] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٣٩، بتاريخ (١٣ ذو الحجة ١٢٢٥هـ/ ٩ يناير ١٨١١م).

[٣] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ١٨٢–١٨٦، ١٨٩–١٩١؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٢٢١–٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧.

[٤] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون**: ٢٦٢.

[٥] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٤٣، بتاريخ (٢٥ شعبان ١٢٢٥هـ/ ١٥ سبتمبر ١٨١٠م)؛ نفس الدفتر، رَقْم ٤٤، بتاريخ (غُرَّة رمضان ١٢٢٥هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٨١٠م).

سليمان باشا الذي لبى النداء وقدَّم كثيرًا مما لديه[1]، ونجحت دسائس سليمان باشا وآتت أُكُلها على النَّحو الذي يصبو إليه؛ ففي الوقت الذي كان يُرسل احتياجات الباب العالي التي تطلب منه، نجده يكفّ عن إعداد قواتٍ للمشاركة في حملة الحجاز، وكُلُّ ما فعله في الأمر إرساله للوهَّابيين بالتَّهديد والوعيد[2] دون أن يُحرِّك ساكنًا. وعلى الجانب الآخر نجد الباشا يُنفق على الحملةِ بسخاءٍ، ولكنَّه كان يتعذَّر في إرسال المُساعدات إلى الدَّوْلة، وعلى ذلك تكوَّنت الصُّورة التي وصلت إلى الباب العالي، فظهر مُحمَّد علي بمظهرٍ سيئٍ؛ فلا هو ساعد الدَّوْلة، ولا هو أخرج الجيش إلى الحجاز، بل تحجَّج بالأعذار!

ومِمَّا تقدَّم ندرك كمّ المخاطر التي تحيط بالباشا ونغَّصت عليه عَيشه، وعليه فإنَّه أراد أن يَجد له نصيرًا في هذا البحر الخِضَمِّ الذي يَمْخُر عُبابه بمفردهِ، ولعلَّ ذلك يُفسِّر سرّ الإلحاح الذي أبداه في مُراسلاته العديدة إلى الباب العالي للعفو عن يوسف كَنْج وإعادته لولاية الشَّام، نظرًا لارتباطها بعَلاقات وثيقة، كما أنَّ لديهما خُطة مشتركة في الزحف على الحجاز. ويتَّضح بصورة جَلِيَّة أسباب العداء الشَّديد بين مُحمَّد علي وسليمان باشا، ورغبته في عزله عن ولاية الشَّام؛ فقد كان ندًّا له، يتراسل مع المماليك ويُرحب بإيوائهم، ولم يهتم بإعداد القوات اللازمة لمساعدة الباشا في حملة الحجاز.

على أية حال، فرغم الرَّسائل الكثيرة التي أرسلها مُحمَّد علي إلى الباب العالي للعفو عن يوسف كَنْج وإعادته لحكم الشَّام؛ فإنَّها لم تؤتِ ثمارها، ولم يُحرِّك لها السُّلطان ساكنًا، بل ظلَّ مُتمسِّكًا برأيه، وهُنا كان على الباشا أن يستخدم وسائله الأخرى، نعم لقد اتَّجه إلى طُرقه الملتوية، وهذا ليس عليه بغريبٍ، فقام بنشرِ شائعاتٍ بلغ مداها الشَّام وإسطنبول، مُفَادُهَا أنَّه سوف يوجِّه قوَّاته إلى الشَّام، وذلك يَتَرَدَّد صَدَاه في المصادر المعاصرة، وتجلَّى في مُراسلات وكيل الباشا في إسطنبول، الذي نبَّه الباشا إلى أنَّ حاشية

---

[2] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ٥٦، بتاريخ (٢٣ ذو القعدة ١٢٢٥هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٨١٠م).

[3] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٥٦٧–٥٧٠؛ إبراهيم العورة، **ولاية سليمان باشا:** ١٣٧–١٣٩؛ أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ٩: ٣٠٨–٣١٠.

السُّلطان يقولونَ: «إنَّ حضرة والي مصر في الواقع تفضَّل بإخراج جيش، ولكن مُراده ليس الذهاب إلى الحرمين، بل إنَّه سيزحف على الشَّام»[١].

هذا، وقد أشار القنصل الفرنسي بالإسكندريَّة في أحد تقاريره إلى ضخامة الجيش الذي أعدَّه الباشا، وأنَّ ذلك أثار كثيرًا من المخاوف لدى سليمان باشا والي الشَّام، وأضاف في تقرير آخر أنَّ كُلّ الاستعدادات تُشير إلى أنَّ هذا الجيش سوف يتَّجه إلى الشَّام[٢]. وكذلك فيما ذكره العورة في مطلع عام (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) أنَّ مُحمَّد علي عزم على مُحاربة سليمان باشا [٣]، وأكَّد الجَبَرْتي على ذلك، فذكر في (٣ صفر ١٢٢٦هـ/ ٢٧ فبراير ١٨١١م) أنَّ الباشا أعدَّ جيشه «ونوَّه بتسفير عساكر لناحيةِ الشَّام لتمليك يوسف باشا لمحلِّه، وصاري عسكرهم شاهين بيك الألفي[٤]، ونحو ذلك من الإيهامات»[٥].

ولا ريب أنَّ الباشا لم يكن بهذه السذاجة حتَّى يصرح بهذا الأمر ويسعى لتنفيذه، ويجعل أعدائه يمسكون بتلابيبه، وعلى الأرجح أنَّه المحرِّك الرَّئيس لهذه الشَّائعة حتَّى يتمكَّن من تحقيق مُبتغاه، وقد كان؛ فلم ينقضِ شهر (صفر/ مارس) من العام حتَّى تتابعت رسائل البشارة تَتْرَا من إسطنبول إلى القاهرة لإخبار مُحمَّد علي بقبول شفاعته في العفو عن يوسف كَنْج، مع التَّرخيص له بالإقامة في مصر، مرفوعًا عن الوزارة، مع وعدٍ أن يتمّ تعيينه في منصب والي جِدَّة عند انتهاء مصلحة الحجاز[٦]، وذكر الجَبَرْتي

---

[٢] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (٢)، رَقْم ٥٣، بتاريخ (٨ شعبان ١٢٢٦هـ/ ٢٨ أغسطس ١٨١١م).

[٣] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون:** ٢٦٢، ٢٦٧.

[٤] إبراهيم العورة، **ولاية سليمان باشا:** ١٨٠–١٨٥.

[٥] من زُعماء المماليك، وصَار من التَّابعين لمُحمَّد علي، ولعلَّ في تَرْديد الجَبَرْتي أنَّ الباشا أَسْنَد قيادة حملة الشَّام إليه فيه مُحاولة من الباشا لبث الطَّمْأنينة في نُفُوس المماليك الذين كانوا على موعدٍ مع المذبحة التي أودت بهم بعد أيَّام من التَّاريخ المذكور.

[٦] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٢٠٦.

[٧] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (٢)، رَقْم ١، بتاريخ (٢ المُحرَّم ١٢٢٦هـ/ ٢٦ يناير ١٨١١م)؛ ورَقْم ٢، (٣ المُحرَّم ١٢٢٦هـ/ ٢٧ يناير ١٨١١م)؛ ورَقْم ٤، بتاريخ (٣ المُحرَّم ١٢٢٦هـ/ ٢٧ يناير ١٨١١م). ونَلْحَظ في هذه الوثائق أنَّها مؤرَّخة بأوائل شهر المُحَرَّم، والرَّاجح أنَّه وقع خطأ في هذا

في يوم (٢٣ صفر ١٢٢٦هـ/ ١٩ مارس ١٨١١م) «حَضَرَ طَطَرِيَان[١] من الرُّوم يُبَشِّران بالعفو عن يوسف باشا المُنْفَصل عن الشَّام، وقُبِلَ فيه ترجِّي باشة مصر وشفاعته»[٢]، فقام مُحمَّد علي برفع رسالة شكر إلى السُّلطان محمود الثاني على ما أنعم به عليه، فقال: «**سَرَّ عَبْدكم ما وَرَدَ في ذلك... كأنِّي أحييت من جديد، وأخرجت من كمين العدم إلى صحراء الوجود... وزاد قَدْري واعْتباري بين العساكر والعشائر**»[٣].

حقَّق الباشا جُزءًا مِمَّا يرنو إليه بالعفو عن يوسف كَنْج، ولكن لم يُعِدْهُ إلى ولاية الشَّام، فعمل جاهدًا على تحقيق هذا الأمر، وما رَامَ الباشا أمرًا إلَّا صار وراءَه وتطلَّبه، وكأنَّ لسان حاله يقول: لقد قطعنا شوطًا لا بأْس به، ولا جَرَم في أن نُعِيد الكَرَّة تارة أخرى. وما لَبِثَ الباشا إلَّا قليلًا حتَّى أرسل إلى الباب العالي يذكر أنَّ العفو عن كَنْج باشا وإسناد ولاية أخرى، لم يكن على الصُّورة التي طلبها تكرارًا ومرارًا، «لكن كان مُرادي أنَّ هذا الرَّجُل قام وقعد وعاشر الوزراء العِظام من مُدَّة مَديدةٍ في طريق الحجاز؛ يَعرف جيّدًا أمور تِلك النواحي ومصالحها... فعلى تقدير إعطاء الشَّام له... كنت أُعْطيه عدَّة

التأريخ؛ لأنَّ نبأ العفو عن يوسف كَنْج وصل القاهرة – كما ذَكَرَ الجَبَرْتي – في (٢٣ صفر/ ١٩ مارس)، كما أنَّ مُحمَّد علي رَفَعَ إلى السُّلطان رسالة شكر على ذلك بتاريخ (٢٩ صفر/ ٢٥ مارس)، وليس من البَدْهي أن يَصْدر العفو السُّلطاني في أوَّل شهر المُحرَّم، ثم يردَّ الباشا عليه في أواخر شهر صفر؛ أي بعد نَحْو شهرين.

[٢] طَطَرِيَان: مفردها ططري أو تتري، وتُطْلق على ساعي البريد في الدَّوْلة العُثمانيَّة. يُنْظَرُ: أحمد السَّعيد سليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجَبَرْتي من الدَّخيل** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م): ١٤٤–١٤٥. يبدو أنهما رسل أرسلهما مُحمَّد نجيب أفندي قَبُوكَتْخُدا (وكيل الباشا) في إسطنبول، ومهرداره عارف أفندي ابن حميد خليل. للمزيد يُنْظَرُ: يحيى مُحمَّد محمود، «الدبلوماسيَّة المصرية في الآستانة زمن مُحمَّد على باشا: دراسةٌ لدور نجيب أفندي ١٨١٣–١٨٣١م» (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات التاريخيَّة، **مجلَّة وقائع تاريخيَّة**، ع. ٢، جُمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ يوليو ٢٠٠٤م): ٢٥٣–٢٧٥.

[٣] **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٢١٤.

[٤] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٦٣، بتاريخ (٢٩ صفر ١٢٢٦هـ/ ٢٥ مارس ١٨١١م).

آلاف فارس... فيزحف من طرف الشَّام، وتقع حركتي أيضًا من مصر بقوى كُليَّة؛ لنسعي في إنجاز المصلحة الجسيمة بسهولة»[١].

وأتْبع مُحمَّد علي ذلك برسالةٍ أخرى طلب فيها تعيين يوسف كَنْج على الشَّام حتَّى تتَّجه الحملة لاسترداد الحرمين الشريفين، ثم تَزحف إلى الدرعيَّة – عاصمة الوهَّابيين – وتجعل عَالِيهَا سَافِلهَا، وأضاف أنَّه لم يطلب الشَّام ليوسف باشا اتباعًا للهوى، بل لتحقيق المصلحة للدَّوْلة العَلِيَّة[٢]، ونلحظ أنَّ قضية يوسف باشا لم تعد تشغل حيّزًا كبيرًا في مُراسلات الباشا إلى إسطنبول، وطوال تسعة أشهرٍ (ربيع الأوَّل– ذو الحِجة ١٢٢٦هـ/ مارس– ديسمبر ١٨١١م) لم ترد إشارة واحدة إليها، ولكن هذا لا يعني أنَّ الباشا صرف نظره عنها، حيث ذكر القنصل الفرنسي في تقريره بتاريخ (١٦ شوَّال ١٢٢٦هـ/ ٣ نوفمبر ١٨١١م) أنَّ مُحمَّد علي ما يزال متمسكًا بأمر إعادة يوسف باشا إلى ولاية الشَّام؛ لأنَّه بهذه الوسيلة يُصبح على الطَّريق إليها[٣].

ما بَرِحَ الباشا عاكفًا على الوصول إلى مُبتغاه، وكان لا يترك مُناسبة دون أن يقحم موضوع إسناد ولاية الشَّام إلى يوسف كَنْج، وكان يستغل قواعد اللُّعبة فيما يخدم أهدافه، فاستغل الهزيمة التي تعرَّضت لها قوَّاته في الحجاز على أيدي الوهَّابيين فأرسل إلى الباب العالي يُعْلمه بالأمر[٤]، وخاطبه خطابًا طويلًا يَعْتب على الدَّوْلة عدم الأخذ بمشورته في إسناد ولاية الشَّام إلى يوسف باشا كَنْج، ولو تمَّ ذلك ما كان وقع ما وقع من الهزيمة، وأضاف أنَّ يوسف كَنْج «لا أخي، ولا أبي، ولا ولدي» حتَّى ينحاز له، وأنَّه لا يضمر كراهية لسليمان باشا كما روَّج المغرضون، وفنَّد الباشا هذا الادعاء بأنَّ المذكور ليس أكثر منصبًا ولا قوَّة، ولا قدرة ولا بطولة، وأنَّه نال – أي مُحمَّد علي – ما لم ينله وزير من الوزراء بفضل رعاية السُّلطان، ونوَّه إلى ضرورة إخراج جيش من الشَّام حتَّى

---

[٢] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٦٤، بتاريخ (غُرَّة ربيع الأوَّل ١٢٢٦هـ/ ٢٦ مارس ١٨١١م).

[٣] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٦٥، بتاريخ (غُرَّة ربيع الأوَّل ١٢٢٦هـ/ ٢٦ مارس ١٨١١م).

[٤] إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون**: ٣٠٦.

[٥] مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج. ٢: ١٤٥–١٤٦؛ أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ١٠: ٩٥–٩٦.

يتمكن من إعادة الكرة على الوهَّابيين، وذلك بإرسال سليمان باشا بالقوَّة على وجه السرعة، أو إسناد الشَّام إلى والٍ آخر، أو الإنعام بتلك الولاية على يوسف كَنْج، ووقتها يقوم الباشا بتجهيزه بكُلّ اللوازم العسكريَّة، ويُرسله إلى الشَّام، ويتحرَّك بقوَّاته من هناك إلى الحجاز، فيتمكَّنا من إنجاز الغاية المطلوبة[١].

والواضح أنَّ السُّلطان عنَّف الباشا على إلحاحه طوال سنة في أمر يوسف كَنْج، وأخبره أنَّ ذلك يُخالف الشرع ويُغاير القانون، فكان ردَّ مُحمَّد علي بأنَّه لم يجرؤ على الشفاعة إلَّا بعدما عَلِمَ أنَّ عبد الله العظم كان مغضوبًا عليه من السُّلطان، ولما فرَّ إلى علي باشا والي بغداد، تشفَّع فيه، فَقُبِلَت شفاعته، وعُفِيَ عنه، وأُعيد إلى ولاية الشَّام، ونبَّه إلى أنَّ يوسف كَنْج بعد أن عُفِيَ عنه صار يقول: «يَجب أنْ أقُوم بعد اليَوم بخَدماتٍ حَسنة لديني ودولتي؛ حتَّى لا أوقف مُحمَّد علي في مَوْقف الخَجَل عند دولتي»، وأضاف أنَّ رجائه كان لإنهاء المصلحة، وخَتَمَ خطابه برجاء إسناد الشَّام إلى يوسف كَنْج[٢].

طَالَع السُّلطان ما رفعه الباشا من رسائل، وأدرك منها أنَّ مُحمَّد علي قدَّم تضحيَّات كثيرة لاسترداد الحجاز من الوهَّابيين، ولكنَّه تعرَّض للهزيمة لعدم تنفيذ المتفق عليه مُسبقًا بإخراج حملة أخرى من الشَّام، وحينئذٍ وجد السُّلطان أنَّه صار مُجبرًا على ترضية الباشا وتنفيذ بعض مطالبه، ولكن على الوجه الذي يرتضيه السُّلطان، ولمَّا كانت ولاية الشَّام محورًا رئيسًا في حديث الباشا صَدَرَ فرمان بإسناد ولاية الشَّام إلى سُليمان باشا السِّلحدار[٣]، والسَّفر إلى دمشق حالًا، والخُروج بقوَّاته إلى الحجاز[٤]، وتمَّ تنحية

---

[٢] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٨٠، بتاريخ (٢٧ ذو الحجة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م).

[٣] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ٨١، بتاريخ (غُرَّة المُحرَّم ١٢٢٧هـ/ ١٦ يناير ١٨١٢م).

[٤] **سليمان باشا السِّلحدار**: سُليمان السِّلحدار الحَمَوي، نسبة إلى حماة مسقط رأسه، تولَّى الشَّام عام (المُحرَّم ١٢٢٧هـ/ فبراير ١٨١٢م)، وعُزِلَ (صفر ١٢٣١/ يناير ١٨١٦م). مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج.٢: ٨٤، ٢٥٣–٢٥٤؛ مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٣: ٩٧؛ مُحمَّد مطيع الحافظ ونزار أباظة، **عُلماء دمشق وأعيانُها في القرن الثَّالث عشر الهجري**، ج. ١ (بيروت– دمشق: دار الفكر المعاصر– دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ٢٥٢.

[٥] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (٢)، رَقْم ٤٥، بتاريخ (١٤ صفر ١٢٢٧هـ/ ٢٨ فبراير ١٨١٢).

سليمان باشا وإبقائه على ولاية صيدا[١]، ولمَّا كان السِّلحدار مُقِيمًا في إسطنبول، فقد أرسل إلى والي صيدا وكالة للشَّام لحين حضوره[٢].

وهكذا نجد أنَّ الباشا خطا خُطوات واسعة في سبيل تحقيق مطالبه، وأنَّ خُطته آتت جزءًا آخر من أُكُلِهَا، فقد نجح سلفًا في انتزاع عفو يوسف كَنْج، والآن كلَّل نجاحه بعزل سليمان باشا من الشَّام، ولكنَّه أخفق في إعادة كَنْج باشا بدلًا منه، فقد أسندها السُّلطان إلى سليمان باشا السّلحدار، وهذا يوضِّح أنَّ الدَّوْلة – إزاء إلحاح مُحمَّد علي المستمر في هذا الأمر – أرادت وضع حدٍّ له؛ لغلق الباب كُليَّة بتعيين السِّلحدار على الشَّام، وهو والٍ ليس بينه وبين الباشا خلاف، ومن ناحية أُخرى نجد أنَّ الباب العالي كان في نفسه شيءٌ من إسناد الشَّام إلى يوسف كَنْج، وهذا الإصرار على عدم تنفيذ رغبة الباشا في هذا الأمر دليل على التخوُّف من وقوع ما لا يحمد عُقباه، وربَّما يتكرَّر ما وقع قبلُ بين علي بك الكبير وظاهر العمر[٣].

---

[٢] إبراهيم العورة، **ولاية سليمان باشا:** ١٥٥.

[٣] ميخائيل الدمشقي، **حوادث الشَّام ولبنان:** ٢٩. تذكر بعض المصادر أنَّ سليمان السِّلحدار تولَّى الشَّام عام (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، بينما بعضها الآخر يذكر أنَّه تولَّى عام (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)، والأخير هو الصَّواب؛ لأنَّه يتَّفق مع ما وَرَدَ في مُراسلات مُحمَّد علي والباب العالي. وتختلف المصادر في الوقت الذي دخل فيه إلى الشَّام، حدَّد بعضها في (ربيع الآخر ١٢٢٧هـ/ أبريل ١٨١٢م)، والآخر حدَّده في (رجب ١٢٢٧هـ/ يوليو ١٨١٢). وتأخّر قدوم السِّلحدار وقد أوكل إلى والي صيدا إدارة أُمور الولاية لحين قدومه، وقد تأخَّر عدَّة أشهر. يُنْظَرُ: حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الشهابيين:** ٥٧٦، ٥٧٨؛ حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد:** ١٥٣–١٥٤؛ ميخائيل الدمشقي، **حوادث الشَّام ولبنان:** ٢٩–٣٠؛ إبراهيم العورة، **ولاية سليمان باشا:** ١٥٥.

[٤] كانت الظُّروف مُشابهة إلى حدٍّ كبيرٍ، فقد لجأ علي بك عام (١١٧٩هـ/ ١٧٦٦م) إلى ظاهر العمر والي صيدا، فآواه وأحسن استقباله، ولم ينسها علي بك لمَّا انفرد بحكم مصر. ولمَّا ساءت العَلاقات بين ظاهر العمر ووالي الشَّام عثمان باشا الكُرجي (١١٧٤– ١١٨٥هـ/ ١٧٦٠–١٧٧١م)، طلب ظاهر مُساعدة علي بك الذي كان بدوره على عَلاقة سيئة بوالي الشَّام، فأرسل علي بك إلى الباب العالي في (شوَّال ١١٨٢هـ/ فبراير ١٧٦٩م) يشتكيه لأنَّه يأوي الفارّين من مصر، وطلب عزله! ولكِنَّ الباب العالي لم يستجب له، فكانت هذه إحدى الذَّرائع والحُجَج لغزو الشَّام. يُنْظَرُ: عبُّود

وهذا القلق الذي كان ينتاب الدَّوْلة نجده في تقرير القنصل الفرنسي عن شهر فبراير ١٨١٢م [١٨ مُحرَّم– ١٦ صفر ١٢٢٧هـ]، فقد أشار إلى أنَّ تطلُّعات مُحمَّد علي إلى إعادة يوسف كَنْج إلى ولاية الشَّام – التي بَدَت بعيدة عن التَّحقيق – تحوَّلت إلى مصدرِ قلقٍ، وأنَّ الباب العالي بصدد إعداد حملة من الشَّام لمحاربة الوهَّابيين، تحت قيادة الصَّدر الأعظم كور يوسف باشا(١)، وقِيل إنَّ مُحمَّد علي وقوَّاته سوف ينضمُّون تحت قيادته(٢)، ولكِنَّ الأمر لم يوضع موضع التنفيذ، نتيجة الانتصارات التي حقَّقتها القوات المُرسلة باسترداد الحجاز.

الصَّبَّاغ، **الرَّوض الزاهر في تاريخ ظاهر**، تحقيق: مُحمَّد عبد الكَريم محافظة، وعِصام مصطفى هزايمة (أربد: دار الكندي للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م): ٥٥–٥٨؛ عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ١: ٤٩١؛ مُحمَّد رفعت رمضان، **علي بك الكبير** (القاهرة: دار الفكر العربي، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م): ١٥٤ وما بعدها.

(٢) **كور يوسف باشا:** يوسف ضياء الدين باشا أصله كُرجي، عُرِفَ بلقب كور وتعني: أعمى؛ لأنَّه فقد إحدى عينيه. تقلَّب في عدَّة مناصب، تولَّى الصَّدارة العظمي (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، على إثر الغزو الفرنسي لولاية مصر، فخرج بحملة عسكرية، وأدَّى دورًا مهمًّا في استرداد مصر من الفرنسيين عام (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، ثم استقال عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) ولزم بيته، ثم أُسند إليه بعض الولايات حتى أُعيد للصَّدارة العظمي عام (١٢٢٤/ ١٨٠٩م)، على إثر تدهور الأوضاع في الحروب العثمانيَّة الرُّوسيَّة (١٢٢١–١٢٢٧هـ/ ١٨٠٦–١٨١٢م)، ثم عُزِلَ (١٢٢٦هـ/ ١٨١١)، وأسند إِلَيْهِ بعض الولايات الصَّغيرة، وانتهى به المطاف إلى جزيرة سَاقِز (خيوس حاليًّا باليونان)، فاستقرَّ بها حتَّى وفاته عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م)، ودُفِنَ فيها. مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني**، ج. ٤: ٦٧٠.

(٣) إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون:** ٣٣٢–٣٣٣. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أمر إسناد القيادة العامَّة (سر عسكر الحجاز) إلى يوسف ضيا باشا كان مطروحًا منذ عام (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م)، ويبدو أنَّ الهزائم المتوالية في الحرب الروسيَّة جعلت الدَّوْلة تُعيد يوسف ضيا إلى الصَّدارة العظمى لقيادة الجيوش في الحرب، وكانت هُناك مُراسلات بين ضيا باشا ومُحمَّد علي. يُنْظَرُ: د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ١٥، بتاريخ (٢١ ربيع الأوَّل ١٢٢٤هـ/ ٦ مايو ١٨٠٩م)؛ ورَقْم ١٦، بتاريخ (غُرَّة ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٦ مايو ١٨٠٩م)؛ **بحر برا**، محفظة (١)، رَقْم ١٨، بتاريخ (١٩ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ٧ يونية ١٨٠٩م). ورَقْم ٢٢، بتاريخ (٢٣ المحرَّم ١٢٢٥هـ/ ٢٨ فبراير ١٨١٠م).

واستغلَّ مُحمَّد علي الانتصارات التي حقَّقها ضِدَّ الوهَّابيين، وطلب من السُّلطان توليته الشَّام[١]، ورفع إليه رسالة طويلة ذكر أنَّ استرداد الحجاز من الوهَّابيين لا يُعني انتهاء المصلحة على الوجه الأكمل، فلا بُدَّ من الزَّحف على الدرعيَّة وتدميرها، وذلك لن يتم إلَّا بالزَّحف عليها من الجهات الثَّلاث (مصر، الشَّام، الحجاز)، ولمَّا كانت الشَّام أقرب المواضع لها؛ فهي على مَبعدة سبع عشرة مرحلةٍ، وجميعها مُمَهَّدة ومعمورة، كثيرة الماء والعشب، وعلى ذلك طلب إسناد ولاية الشَّام إليه، وأضاف أنَّه لا يبغي جرُّ منفعةٍ، ولا توسيعُ منصبٍ، وإنَّما رغبة في إتمام المصلحة، وخدمة الدِّين والدَّوْلة العَلِيَّة، وخَتَم حديثه بأنَّه عزم على السَّفر إلى الحجاز لتنظيم الأوضاع، وقيادة المعارك[٢].

وقد أبلغه قُبُوكَتْخُدَا (وكيله) في إسطنبول أنَّ الأمر عُرِضَ على مجلس المشورة عدَّة مرَّات لمُناقشته، وقرَّر الاستعلام عن كيفية إدارة الشَّام في حال إسنادها إلى مُحمَّد علي[٣]، ولكن الواضح أنَّ الأمر كان مجرَّد دَغْدَغَة لمشاعر الباشا وتشجيعًا على المُضِي قُدُمًا في حُرُوبه ضد الوهَّابيين والقضاء عليهم، وعقب عودة مُحمَّد علي إلى القاهرة طلب من الدَّوْلة إسناد الشَّام إليه، كما وُعِدَ؛ فأُهْمِل طلبه؛ نتيجة تعيين غريميه القديمين خُورشيد باشا[٤] في الصَّدارة العُظمى، وخسرو باشا[٥] قبودانًا للبحريَّة، وألقى الأخير عند السُّلطان

---

[٢] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٦٠٩.

[٣] د. و. ق، **معية تركي**، دفتر (١)، رَقْم ١١٨، بتاريخ (٢١ شعبان ١٢٢٨هـ/ ١٩ أغسطس ١٨١٣م).

[٤] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (٤)، رَقْم ٤، بتاريخ (١٥ صفر ١٢٣٠هـ/ ٢٧ يناير ١٨١٥م).

[٥] **خُورشيد باشا**: أحمد خُورشيد باشا الكُرجي، ينحدر أصله من الكُرج (جورجيا)، التحق بالإنكشاريَّة، وولي على الإسكندرية عقب خروج الفرنسيين، ثم ولي مصر (١٢١٩–١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤–١٨٠٥م) وعُزِلَ منها بعد ثورة المصريين، وعُيِّن مُحمَّد علي، وبعد خروجه من مصر تقلَّب في المناصب فقد ولي المُورة، والرُّوملي، وحلب، ثُمَّ الصَّدارة العُظمي (١٢٢٧–١٢٣٠هـ/ ١٨١٢–١٨١٥م)، ولمَّا قامت الثورة في اليونان عُيِّن لقيادة الجيش، ولكنَّه تلقَّى هزيمة قاسية، فانتحر على إثرها عام (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م). يُنْظَرُ: مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٢: ٣١١؛ عبد الرَّحمن الجَبَرْتي: **عجائب الآثار**، ج. ٣: ٥١٦–٥١٧، ٥٢٠–٥٢١، ٥٣٦، ٥٣٩–٥٤٠.

[٦] **خسرو باشا**: مُحمَّد خسرو باشا ابن سعيد أباظة، أصله من الجراكسة، ولي مصر عقب خروج الفرنسيين (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، ثُمَّ ثار عليه الجند بمؤامرة من مُحمَّد علي، وعُزِلَ عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) – ومن هنا نشأ النِّزاع بينه وبين الباشا الذي استمرَّ نحو أربعين سنة – وبعد عزله عاد إلى الآستانة وتقلَّب في المناصب وعُيِّن في ديار بكر، وسالونيك، والبوسنة، ثُمَّ قبودان الأسطول

أنَّ الباشا إذا تملَّك مصر والشَّام؛ فإنَّ السَّلطنة سوف ترجع إلى مصر كما كانت في الأزمان السَّابقة، وقِيل إنَّ خسرو حرَّض على قتل مُحمَّد علي[١].

على أيَّة حال، بَقِيَ يوسف كَنْج لاجئًا عند مُحمَّد علي، وكان موضعِ العناية والتَّقدير، ويتجلَّى ذلك في مواقفٍ عدَّة، منها أنَّ يوسف باشا لمَّا أصابه المرض، أقام في قصر الآثار – بمنطقة آثار النَّبي – فنزل الباشا من القلعة لزيارته في عيد الفطر (٣ شوال ١٢٣٠هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٥م) وعيَّد عليه، ولمَّا مات في (٢٠ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ١٢ أكتوبر ١٨١٦م) قام بدفنه في مقبرته (حوش الباشا بالشَّافعي) التي أعدَّها لعائلته[٢]، وعقب وفاته أرادت الدَّوْلة الحجز على تركته؛ فرفع الباشا التماسًا إلى السُّلطان لرفع الحجز؛ وتمَّت المُوافقة عليه، وأُبقيت التَّركة لأرملته[٣].

ويتَّضح من العرض السابق أنَّ يوسف باشا كَنْج، أوَّل اللاجئين الذين تشفَّع فيهم مُحمَّد علي عند السُّلطان، وسعى بشتَّى باستغلال كُلّ الطُّرق والوسائل أن يظفر بالعفو التَّام عنه، ولكنَّ العفو كان عن ماله ورقبته، دون العودة لولاية الشَّام، واستغرق ذلك مُراسلات مع الدَّوْلة ورجالها استمرَّت نحو ثمانية عشر شهرًا، ورغم أنَّ الباشا حاول بعدها أن يُعيد كَنْجَ باشا على ولاية الشَّام، ولكِنَّ الأمر رُفِضَ من الدَّوْلة، وأثار إلحاحه المُستمرّ الشُّك في نيَّته، وقد تدخَّل أعدائه في إسطنبول لتأجيج حدَّة ذلك.

أمَّا عن انعكاسات لجوء يوسف كَنْج إلى، فكانت سببًا رئيسًا في تفتق فكر مُحمَّد علي إلى ولاية الشَّام وأهميتها بالنسبة لمصر؛ لذلك عمل على إبقائها تحت ولاية قائد غير طموح وعلى صلة جيِّدة به مثل يوسف كَنْج، ولمَّا رفض طلبه، سعى إلى طلب إسناد ولايتها إليه، ورَفَضَ الباب العالي طلبه أيضًا، وفي هذه المرحلة نتبين زيادة مكانة مُحمَّد علي، ولكن بحدود معيَّنة، فقد قُبِلَتْ شفاعته بصورة جزئية، فهل ستظل مكانته كما هي أم سترتفع عند السُّلطان؟ هذا ما سوف تجيب عليه حالات اللُّجوء اللاحقة.

العثماني، ثُمَّ ولي الصَّدارة العُظمي عام (١٢٥٥–١٢٥٧هـ/ ١٢٣٩–١٢٤١م)، واشتدَّ النزاع بينه وبين مُحمَّد علي، وفي أخرته عُيِّن مأمورًا بالمجلس العالي في إسطنبول، وتوفي عام (١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م). يُنْظَرُ: مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٢: ٢٧٥–٢٧٧؛ عبد الرَّحمن الجَبَرْتي: **عجائب الآثار**، ج. ٣: ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٤، ٤٤٤، ٤٤٦–٤٤٨.

[٢] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٦٠٩–٦١٠، ٦٢٠–٦٢١.

[٣] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٣٦٠، ٤١٧.

[١] د. و. ق، **بحر برا**، محفظة (٤)، رَقْم ٩٣، بتاريخ (٧ ربيع الآخر ١٢٣٢هـ/ ٢٤ فبراير ١٨١٧م.

ثالثًا– لجوء مُحمَّد آغا أبو نَبُّوت حاكم يافا وغزَّة عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م)

كان مُحمَّد أبو نبُّوت[١] حاكم يافا وغزَّة (١٢٢١–١٢٣٤هـ/ ١٨٠٧–١٨١٩م)، ثالث القادة اللاجئين إلى مُحمَّد علي، وترجع أسباب لجوئه إلى تدهور عَلاقته مع سيِّده سليمان باشا والي صيدا، الذي كان قد عيَّنه مُتسلِّمًا على سنجقي يافا وغزَّة، فقام أبو نبُّوت بإصلاحاتٍ واسعةٍ، ونشر الأمن؛ فارتفعت مكانته واشتهر أمره بين الناس؛ فخشي بعض أتباع والي صيدا منه، فسعوا في الوقيعة بينهما، وأوْغَروا صدره عليه، وأخبروه أنَّه سَعَى في فَصْل سَنْجق يافا وغزَّة عن تبعية ولاية صيدا للاستقلال بهما، ثُمَّ إنَّه طَلَبَ ولاية صيدا من الباب العالي لنفسه. وقد تواطأ مع هؤلاء قاضي غزَّة، وكاتب غزَّة – وكلاهما كانا يُضْمران له العداء، وتمَّ استقطابهما من أتباع الباشا – وادَّعى الأخير أنَّ أبا نبُّوت قام بتحصين يافا تمهيدًا لإظهار التَّمَرُّد[٢]، فتمكَّنت هذه الأراجيف من سليمان باشا، فازداد حَنقهُ عليه، وعَمِلَ على التخلُّص منه رَيْثمَا تَسْنح له الفرصة.

---

[٢] **مُحمَّد أبو نَبُّوت:** لُقِّب بأبي نبُّوت لأنَّه كان يحمل نبُّوتًا يُخيف بها النَّاس، ويُعاقب بها المُذنبين، وورد اسمه في المصادر العثمانيَّة مُحمَّد أمين باشا أبو لبود (لبوت/ لبوط)، وُلِدَ في النّصف الثَّاني من القرن (١٢هـ/ ١٨م)، وينحدر أصله من القوقاز، وقد اشتراه أحمد باشا الجزار، وأدخله في خدمته وبعد وفاته، خَدَم سليمان باشا والي صيدا، وصار من خاصَّته، فعيَّنه أمين جمرك عكا، وأسند إليه عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م) بمُهِمَّة مُحاربة مُحمَّد باشا أبو مَرق فهزمه – كما تمَّت الإشارة – وتمَّ تعيينه على يافا وغزَّة؛ فصار أشهر من تولَّاها في هذا القرن؛ نتيجة الاهتمام البالغ بها، فقد قام بتجديد أسوار المدينة وأبراجها، وبناء خَنْدق من جهة البرّ، وتجديد جامع يافا الكبير (الجامع المحمودي)، وألحق به مدرسة ومكتبة، وأنشأ الأسبلة، مثل: سبيل الشفاء، وسبيل المحموديَّة، وقد دبَّت الخلافات بينه وبين سليمان باشا، نتيجة توسَّع نفوذه؛ فانتهى الأمر بعزله، ثمَّ لجأ إلى مصر عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م)، ومنها إلى إسطنبول، وحاز لقب الباشويَّة، وصار يُعْرَف بمُحمَّد أمين باشا، وقد تقلَّب في حكم بعض الولايات مثل: سَالونيك، والرُّوملي، ودِيارِ بكرٍ، توفي في حدود عام (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م)، ودُفِنَ في يافا. يُنْظَرُ: علي حسن البواب، **موسوعة يافا الجميلة**، مج. ١ (بيروت: المُؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م): ٧٣–٨٠؛ فاضل مهدي بيات، **دراساتٌ في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤيةٌ جديدةٌ في ضوء الوثائق والمصادر العثمانيَّة** (بيروت: دارُ المدار الإسلاميّ، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م): ٣٥٩، ٣٦٣. ويُنْظَرُ:
Samuel Tolkowsky, ***The gateway of Palestine: a history of Jaffa*** (New York: A.& C. Boni, 1925): 154-155.

[٣] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا العادل:** ٣٧٧–٣٨٢؛ عادل منَّاع، **أعلامُ فلسطين:** ٤٨.

وقد دبَّر المُتآمرون خطَّة للإطاحة بأبي نبُّوت، خشية أن يتحصَّن في يافا إن صَدَرَ قرار عزله وهو فيها، فيصعب إخضاعه؛ وقد صَادَف ذلك وجود مُحمَّد أبو نبُّوت في غزَّة، لتدبير بعض أمورها؛ فأجْمَعُوا أمْرَهُم على تَهْيئة الباشا للإسراع في أن يُصْدر مرسومًا بتعيين ابن أخيه مصطفى بك على يافا، ويُرسل إلى قائد الحامية العسكريَّة كوجك مصطفى آغا ليُطْلعه على القرار، ويأمره بالمُحافظة على يافا وقلعتها، وَمَنْع مُحمَّد أبو نبُّوت من دخولها[١].

لم يُرد سليمان باشا التخلُّص من أبو نبُّوت دفعة واحدة، بل عمل على تقويض نفوذه، رُبَّما خشية من ثورته ضدّه، وقد وافق على جزءٍ مِمَّا يُريده الناصحون له؛ فأصدر أمره في (٦ جُمادى الأولى ١٢٣٤هـ/ ٣ مارس ١٨١٩م) بعزل مُحمَّد أبو نبُّوت من سَنْجق يافا، وأن تبقى ولايته على سَنْجق غزَّة والرَّمْلة واللُّد[٢]، ولمَّا رجع أبو نبُّوت إلى يافا، وجد أبوابها مغلقة، والعساكر مُرتَّبة على أسوارها وأبراجها، ورفض كُجك مصطفى آغا فتح الأبواب، وأخبره من فوق السور بقرار عزله، فانسحب أبو نبُّوت غضبان أسفًا إلى غزَّة، وأرسل إلى سليمان باشا يخبره بما وقع، ويُفَنِّد له الأكاذيب والأراجيف التي روَّجها المُغْرِضُون في حقِّه، لكِنَّ الباشا لم يُحَرِّك ساكنًا[٣].

أدرك مُحمَّد أبو نبُّوت أن المُقام به لن يطول في سَنْجق غزَّة، طالما أنَّ أعداءَه يَتَحَكَّمُونَ في قرارت سيِّده، ورُبَّما يكون مآله القتل بمؤامرة تُحاك ضده، أو عزله من غزَّة – أيضًا – ويكون مصيره مثل سابقيه: مُحمَّد أبو مَرق، ويوسف كَنْج، الذين أُطِيحَ بهما؛ ولذلك أبطن في نفسه ما استعدَّ له للخروج من الشَّام، وعَزَمَ على جَمْع أمواله ومتاعه؛ فتظاهر بالخُضُوع والطَّاعة، وأرسل إلى سليمان باشا يلتمس الإذن بإخراج حريمه وموجوداته من يافا، فسمح له بإدخال اثنين من أتباعه للقيام بالأمر، فأخذوا بعضها عن

---

[٢] مصطفى مراد الدَّبَّاغ، **بلادُنا فلسطين: في الدِّيار اليافيَّة**، ج. ٤، ق. ٢ (كفر قرع، حيفا: دارُ الهُدى، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ١٦٧؛ **تاريخ ولاية سُليمان باشا**: ٣٨٤–٣٨٨.

[٣] **محكمة شرعيَّة يافا**، سِجِلٌّ رَقْم (٣)، بتاريخ (٨ جُمادى الأولى ١٢٣٤هـ الموافق ٤ مارس ١٨١٩م)، صفحة ١١٧.

[٤] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا**: ٣٩٠–٣٩١.

طريق البر إلى القدس[١]، وبعضها عن طريق البحر إلى غزَّة، واجتهد في جَمْع كُلّ ما لديه في كافَّة المناطق التابعة له، ونقلها إلى غزَّة[٢].

وبعد أن أعدَّ عدَّته وجمع مُتعلَّقاته، أرسل إلى مُحمَّد علي، يستأذنه في القدوم وحاشيته إلى مصر فأذن له[٣]، وقد كان اختيار اللُّجوء إلى مصر لأسباب عديدة، ولعل منها: أنَّها أقرب الولايات إليه بالنسبة لموقعه في غزَّة، ولأنَّ واليها مُحمَّد علي ارتفعت مكانته في العالم الإسلامي قاطبة، ونال الحظوة لدى السُّلطان بعد نجاح ابنه إبراهيم باشا في إسقاط الدرعيَّة عاصمة الوهَّابيين وتدميرها عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، بالإضافة إلى أنَّه على علمٍ برواسبِ النِّزاعِ القديم بين مُحمَّد علي وسليمان باشا منذ حادثة لجوء يوسف كَنْج باشا – المذكور آنفًا – وإيوائه للمماليك الفارين من مصر، واستنادًا لمبدأ عدو العدو صديق، فقد رأى أنَّ الباشا خير مَن يُعينه ويشفع فيه عند السُّلطان، فيعيده إلى مقرّ حكمه، أو ينعم عليه بولايةٍ أُخرى.

على أيَّة حال، فعقب وصول رسالة الباشا بالموافقة على قدومه؛ تحرَّك أبو نبُّوت من غزَّة مُتَّجِهًا إلى القاهرة، وحَمل متاعه وأمواله على مائتين وسبعين جملًا، فضلًا عن جمال ودواب حاشيته، وأبقى بعض أتباعه حتَّى يكونوا عُيُونًا له، وصَحِبَ معه نساءَه ومماليكه وأجناده[٤] الذين بلغ عددهم نحو الخمسمائة، ونلحظ أنَّ إنهاء أموره وجَمْع كافَّة مُتعلَّقاته لم يستغرق سوى شهرين مُنذ قرار عزله من يافا حتَّى وصوله إلى مُحمَّد علي،

---

[٢] يبدو أنَّه أرسلها إلى القُدْس؛ لأنَّه كان مُتزوِّجا ابنة كَنْج أحمد آغا مُتسلّم سَنْجق القُدْس. يُنْظَرُ: طاهر أديب قليوبي، **عائلات وشخصيَّات من يافا وقضائها** (بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م): ١٧٢؛ مصطفى مراد الدَّبَّاغ، **بلادُنا فلسطين: في الديار اليافية**، ج. ٤، ق. ٢: ١٦٩.

[٣] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا**: ٢٩٢–٢٩٣.

[٤] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤٦٩.

[٥] عبد اللَّطيف الطَّيباوي، **مُحاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، ج. ٢ (بيروت: دار الأندلس للطِّباعة والنَّشر، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م): ١٥٥–١٥٦؛ مُحمَّد مُحمَّد حسن شراب، **غزَّة هاشم: عروس الشَّام وثغر المرابطين** (بيروت: الأهلية للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م): ١٥٤، ٤٣٩.

وقد خَرَجَ من غزَّة خائفًا يترقَّب، وكان تحرُّكه سريعًا إلى القاهرة «يطوي الطَّريق باللَّيل والنَّهار... وكانت حالته حالة مَن هو ناظرٌ أنَّ الجبال والأحجار والأشجار عساكر لاحقة له؛ لتمسكه وتسلب نعمته»[١].

وفي (٧ رجب ١٢٣٤هـ/ ٢ مايو ١٨١٩م)، وصل أبو نبُّوت القاهرة، فاستقبله مُحمَّد علي، وأنزله في قصر العَيْنِي[٢] في القاهرة، ثُمَّ اجتمع به وسلَّم عليه، وقد رَتَّب له مُرَتَّبًا كبيرًا وأغْدَق عليه وحاشيته بالمال وكُلّ ما يلزمهم، فقال: «وعَيَّن له ما يَقُوم بكفايتِهِ وكِفاية أتباعه، فَمِن جُمْلة ما رَتَّب له ثلاثة آلاف تذكرة، كُلّ تذكرة بألفين وستمائة نصف فِضَّة في كُلّ شهر، وذَلِك خِلاف المُعَيَّن واللَّوازم من السَّمن والخُبز والسُّكَّر والعَسَل والحَطَب والأُرْز والفَحْم والشَّمْع والصَّابُون، فَمِن الأُرْز خاصَّة في كُلّ يومٍ إردبَّان، وللعليق خمسة وعشرون إردبًّا في كُلّ يومٍ»[٣]، وقد قَبِلَ أبو نبُّوت، ولكنَّه بعد ثلاثة أيَّام تقدَّم بخطابِ شُكْرٍ إلى الباشا، والتمس منه أن يقطعها؛ لأنَّ عنده ما يكفيه، وأنَّه ما حَضَرَ إلَّا للاستظلال بظلِّه الوَريف[٤].

وليس فيما بين يدي الباحث من مصادر ما يوضح تفاصيل المُدَّة التي أقام فيها أبو نبُّوت في مَعية الباشا في القاهرة التي استمرَّت نحو سبعة أشهر[٥]، ويبدو أنَّ مُحمَّد علي كان يلتقي به كعادته مع اللاجئين إليه، وكان يَطَّلع منه على أوضاع الشَّام وأخبارها،

---

[٢] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا:** ٣٩٧.

[٣] **قَصْرُ العَيْني:** بناه شهاب الدين أحمد العَيْني عام (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، في العصر المملوكي، وفي عهد مُحمَّد علي أصبح قصرًا لاستقبال الضُّيوف، ثُمَّ أنشأ به مباني مدرسة الطّب عام (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) التي تولَّى إدارتها كلوت بك. يُنْظَرُ: مُحمَّد الشِّشتاوي، **مُتنزَّهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني** (القاهرة: دارُ الآفاق العربيَّة، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م): ٣٧–٣٩.

[٤] عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤٦٩.

[٥] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا:** ٣٩٣.

[٦] مُنذ دخوله القاهرة في (٧ رجب ١٢٣٤هـ/ ٢ مايو ١٨١٩م) حتَّى سفره إسطنبول في (غُرَّة صفر ١٢٣٥هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٩م). عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤٦٩، ٤٧٣.

لأنَّ أبو نبُّوت كان من القادة المُخَضْرَمين فيها، ولا ريب أنَّ الباشا عَمِدَ إلى تكوين قاعدة دقيقة وفكرة عَمَلِيَّة عن الشَّام وطبيعته من اللاجئين إليه؛ قد لا يعلمُها سُواهم؛ نظرًا لتمرُّسهمْ بشؤونِ الحكمِ والإدارةِ لسنواتٍ طِوَالٍ.

هذا، وفي إبَّان تواجد أبو نبُّوت في القاهرة، كانت الشَّائعات منتشرةً حوله في الشَّام، مُفادها: أنَّه سوف يجمع عربان مصر ويرجع لاسترداد يافا، وأنَّه أرْسَل إلى أهل غزَّة لإثارتهم على سليمان باشا[١]، وكان في مقدرة مُحمَّد علي أن يطلب من الدَّوْلة إعادته إلى مقرّ سَنْجقيته، ويتَّخذُ ذلك ذريعة للتطلُّع إلى الشَّام، وبخاصَّة بعد وفاة والي صيدا سليمان باشا في (١٤ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ٤ سبتمبر ١٨١٩م) وتعيين والٍ جديد[٢]، ولكن الباشا لم يُقْبل على هذا الأمر، واكتفى بالتَّشفُّع فيه عند السُّلطان، ويبدو أنَّه كان مُنشَغِلًا ببعض القضايا الأُخرى من ترتيب إدارته في الجزيرة العربيَّة، وتوجيه حملاته على اليمن، بجانب تطلُّعاته إلى السُّودان وإرساله حملة عسكريَّة عليها.

رَفَعَ مُحمَّد علي إلى الباب العالي طلب شفاعة في مُحمَّد أبو نبُّوت، ذَكَرَ أنَّه هَرَبَ من الشَّام خوفًا من سليمان باشا، وأنَّه يخشى على نفسه من الإقامة في مصر، ويطلب استرداد أمواله وممتلكاته التي صُودِرَتْ في يافا، وأكَّد الباشا على أنَّ أبو نبُّوت خدم الدَّوْلة، وقدَّم أعمالًا جليلة في عَهْدَي أحمد باشا الجزار، وسليمان باشا؛ ولذلك يلتمس العفو عنه، وسفره إلى إسطنبول ليُقِيمَ فيها، وتُحَوَّل إليه أمواله من يافا، وقد طالع السُّلطان هذه العريضة، وأصَدَرَ قرارًا بالعفو عنه، وإرسال المذكور إلى دارِ السَّعادة[٣].

ولمَّا وصلت الأخبار إلى مُحمَّد علي، أعدَّ له كُلّ ما يحتاجه في سفره، وأمدَّه بهدايا ليقدمها عند وصوله إلى الباب العالي والسُّلطان، وفي (غُرَّة صفر ١٢٣٥هـ/ ١٩

---

[٢] إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا:** ٣٩٦–٣٩٧.

[٣] **تاريخ ولاية سُليمان باشا:** ٤٦٤.

[٤] **الأرشيف العثماني،** ***HAT.*** 666/32428 من مُحمَّد علي إلى الباب العالي، بدون تاريخ. والرَّاجح تاريخها بين (٧ رجب – ١٤ ذو القعدة ١٢٣٤هـ/ ٢ مايو – ٤ سبتمبر ١٨١٩م)؛ أي عقب وصول أبو نبُّوت إلى مصر وقُبَيْل وفاة سليمان باشا؛ لأنَّه مذكور أنَّه والي صيدا. **ويُنْظَرُ ملحق رقم (١).**

نوفمبر ١٨١٩م) ودَّعه الباشا عند سفره إلى إسطنبول، وعُيِّن لصحبته خمسة وثلاثون شخصًا، وأمَّا بقية حاشيته وعددهم نحو المائتين، فقد تركهم في القاهرة، وأقاموا في بيتٍ بسويقة اللالا، وكان الباشا يصرف لهم الرَّواتب(١).

وهكذا حصل أبو نبُّوت على العفو السُّلطاني بشفاعة مُحمَّد علي، وقد ظلَّت العَلاقات بينهما وتوثَّقت توثقًا شديدًا، يدلُّ على ذلك المُراسلات الكثيرة بينهما بعدما انتقل إلى دارِ السَّلْطنة – كما سيأتي ذكره – وكان يرفع الرَّسائل بصحبة خزنداره إلى القاهرة، وكان الباشا يحسن إليهم ويكرمهم(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّه كان في استطاعة مُحمَّد أبو نبُّوت في إسطنبول أن يحيك المؤامرات ضد والي صيدا الجديد، ويطلب بإعادة تعيينه على غزَّة ويافا، ورُبَّما يطلب ولاية صيدا(٣)، والواضح أنَّه كان يسعى للعودة مرَّة أخرى إلى الشام، يدلُّ على ذلك أنَّه عمل على شراء بعض الأراضي في يافا(٤).

على أيَّة حال، كان وجوده في إسطنبول في صالحه، فقد حصَّل ثقة السُّلطان، ونال ما لم يكن يناله لو ظلَّ في الشَّام؛ ففي أعقاب سفره اندلعت الثَّورة في اليونان(٥)؛

---

(٢) عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤٧٣؛ إدوار جُوان، **مصر في القرن التَّاسع عشر**، تعريب: محمود مسعود (القاهرة: د. ن، ط ١، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م): ٦١٠–٦١١.

(٣) أمر مُحَرَّر لبلال آغا ناظر السُّفن، تاريخه (١٥ جمادى الأولى ١٢٣٧هـ/ ٦ فبراير ١٨٢٢م). يُنْظَرُ: **السُّلطة وعرض حالات المظلومين من عصر مُحمَّد علي ١٨٢٠–١٨٢٣م**، إعداد ودراسة: ناصر عبد الله عثمان (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م): ١٥٧.

(٤) ***Thomas Philipp, Acre: The Rise and Fall of a Palestinian City 1730-1831 (New York: Columbia University Press,*** 2001***):*** 88**,** 149**,** 150**.**

(٥) حسن إبراهيم سعيد، **يافا من الغزو النَّابليُوني إلى حملة إبراهيم باشا ١٧٩٩–١٨٣١م**، تقديم: عصام نصَّار (بيروت: مُؤسَّسة الدِّراسات الفلسطينيَّة، سلسلة المُدن الفلسطينيَّة رَقْم «٦»، ط ٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م): ٨٧.

(٦) اندلعت الثَّورة في اليونان عام (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م)، بزعامة القس جرمانوس في كلافريتا ***Klavarita***، وتمكَّنوا من السَّيطرة على أهم مدنها، وانتشرت الثَّورة إلى جزيرة كريت، وقد تألَّفت جمعيَّة وطنيَّة من ستين نائبًا انعقدت في (ربيع الآخر ١٢٣٧هـ/ يناير ١٨٢٢م)، وأعلنت استقلال

وأرادت الدَّوْلة أن تستفيد منه، فمنحه السُّلطان رُتبة الوزارة (الباشويَّة)[١]، وعيَّنه على ولاية سالونيك (١٢٣٦–١٢٣٨/ ١٨٢١–١٨٢٣م)، حتى يقمع المُتمرِّدين، وقد اشتهر أبو نبُّوت نتيجة مشاركته في هذه الحرب، وتردَّد اسمه بصيغة مُحمَّد أمين باشا أبو لبود (لبوط) في المصادر المعاصرة، وقد قام بدورٍ مهمٍّ في القضاء على التَّمرُّد في بعض المدن المُهِمَّة في سالونيك وما جاورها في بلاد اليونان، مثل: كسندره[٢] Kassandra، وآثوس[٣] Athos، وأُوليمبوس[٤] Olympus، وغيرها من المدن[٥].

الأُمَّة اليونانيَّة، ووضعت دستورًا قوميًّا لها، واتَّخَذوا مدينة نافبليو Nafplio عاصمة لهم ومقرًّا، وانتهت الثَّورة باستقلال اليونان عام (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) بصورة نهائيَّة عن الدَّوْلة العثمانيَّة. يُنْظَرُ: تشارلز ييلافيتش، وبربارا ييلافيتش، **تفكِيك أوربا العُثمانيَّة: إنشاء دول البلقان القوميَّة** (١٨٠٤–١٩٢٠)، ترجمة: عاصم الدُّسوقي (القاهرة: دارُ العالم الثَّالث، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ٥١–٦٤، ٨١؛ ثريَّا شاهين، **دورُ الكنيسة في هَدْم الدَّوْلة العثمانيَّة**، ترجمة: مُحمَّد حَرب (جدَّة: دارُ المنارة للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م): ٥٦ وما بعدها.

[٢] **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 902/39639 فرمان من السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخه في حدود أواخر عام (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م).

[٣] كسندره: شبه جزيرة تقع جنوب غربي سالونيك. يُنْظَرُ: علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة لِمَمَالك الدَّوْلة العُثمانيَّة**، ترجمة: جمعة بن أحمد بن أحمد الأنطاكي، إعداد: أحمد الشَّرقاوي وآخرين (القاهرة: دارُ البشير، ط ١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م): ٤٣، ٤٦. موقعها حاليًّا في دولة اليونان.

[٤] آثُوس: بلدة تقع فوق جبل آثوس (الجبل المُقدَّس)، جنوب شرقي ولاية سالونيك. يُنْظَرُ: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة، **آثار الأدهار، القسم الجغرافي، مج. ٢** (بيروت: المطبعة السُّوريَّة، ط ١، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥م): ٤٥. وموقعه حاليًا في دولة اليونان.

[٥] أُوليمبوس: بلدة تقع عند جبل أُوليمبوس، ضمن ولاية مناستر. يُنْظَرُ: سليم الخوري وسليم شحادة، **آثار الأدهار**، مج. ٢: ٤٥٢؛ علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة:** ٥٧. وتقع حاليًا في دولة اليونان.

[٦] للمزيد عن دور مُحمَّد أبو نبُّوت في حرب اليونان أثناء ولايته على سالونيك، والرُّوملي، يُنْظَرُ:
Thomas Gordon, ***History of the Greek Revolution: And of the Wars and Campaigns***, (London: William Blackwood, Edinburgh, and T. Cadell, Strand, 1832), vol. I, 286-288, 394-396, vol. II, 25-27, 64; Basil C, Gounaris, "Macedonia", ***The Greek Revolution: A Critical Dictionary***, Edited by: Paschalis M. Kitromilides, Constantinos Tsoukalas (London: the Belknap Press of Harvard University Press, 2021): 238, 240-241.

والواضح أنَّه نتيجة جهوده، قام السلطان بتعيينه على أهمِّ ولاية في الدَّوْلة العثمانيَّة، وهي ولاية الرُّوملي (١٢٣٨–١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣–١٨٢٤م)[١]؛ لكي يستكمل مسيرته في القضاء على المُتمرِّدين وقمع حركتهم، وفي أثناء ولايته على الرُّوملي كان يُرسل الخطابات إلى مُحمَّد علي؛ ليخبره بإسناد الولاية إليه، وليطلعه على كافَّة تطوُّرات الحرب، وكان الباشا يشكره على حُسن إخلاصه وموالاته، ويرجو دوام المودَّة بينهما[٢].

وفي أواخر عام (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م)، غَضِبَ السُّلطان على مُحمَّد أبو نبُّوت، ورَفَعَ عنه رُتبة الوزارة، وعَزَله من ولاية الرُّوملي، ونَفَاه إلى مدينة ديموتيقة[٣] Didymoteicho، نتيجة لسوء تصرُّفاته[٤]؛ فقام أبو نبُّوت برفع خطاب إلى مُحمَّد علي يُعلمه بما وقع عليه، ويلتمس منه أن يشفع فيه عند السُّلطان، فأخبره الباشا أنَّه سوف يتبدَّل العُسْر باليُسْرِ، وأنَّه أوصى وكيله في إسطنبول أن يتَّخذ كافَّة الإجراءات اللازمة لينال العفو السُّلطاني في أقرب وقتٍ[٥]. وقد قُبِلَتْ شفاعة مُحمَّد علي فيه، وعُفِيَ عنه، ورُدَّت إليه أمواله، وهنأه الباشا بهذه المناسبة، وبناءً على رغبة أبو نبُّوت، قام مُحمَّد علي بتكليف وكيله في إسطنبول بالتَّوسُّط مرَّة أُخرى حتَّى ينال العفو السُّلطاني التَّام؛ ويُعيَّن على إحدى الولايات[٦].

---

[٢] أحمد جودت، **تاريخ جودت**، مج. ١٢: ٦٨، ٧٩–٨٠، ٩٢.

[٣] مُكاتبةٌ من مُحمَّد علي إلى والي الرُّوملي، بتاريخ (٢٧ شوال ١٢٣٨هـ/ ٦ يوليو ١٨٢٣م)؛ مكاتبة بتاريخ (١١ جمادى الآخرة ١٢٣٩هـ/ ١١ فبراير ١٨٢٤م). يُنْظَرُ: **الأوامر والمُكاتبات الصَّادرة من عزيز مصر مُحمَّد علي**، ج. ١، تحقيق: عماد أبو غازي وآخرين، إشراف: رءُوف عبَّاس حامد (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م): ٨٨.

[٤] ديموتوقة: لواء يتبع ولاية أدرنة العثمانيَّة، يقع بجنوبها الغربي، قصبته ديموتوقة، وثلاثة أقضية هي: أورته كوي، صوفيلي، دده آغاج. يُنْظَرُ: علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة لِمَمَالك الدَّوْلة العُثمانيَّة**: ٣٦، ٣٨. تقع حاليًا في أقصى شمال شرقي اليونان على حدودها مع تركيا.

[٥] **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 503/ 42725 فرمان عزل مُحمَّد أبو نبُّوت من ولاية الرُّوملي، تاريخها في حدود (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م). ويُنْظَرُ: مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٤: ٢٨٧.

[٦] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى مُحمَّد باشا أحد الوزراء المنفيين، بتاريخ (٢٠ ذو القعدة ١٢٣٩هـ/ ٦ يوليو ١٨٢٤م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٢٦.

[٧] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى مُحمَّد باشا أبو نبُّوت، بتاريخ (١١ جمادى الأولى ١٢٤٠هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٢٤م)؛ مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى مُحمَّد باشا أبو نبوت، بتاريخ (١٣ جمادى الأولى ١٢٤٠/

فأُعِيدَتْ إليه الوزارة، وعُيِّن على ولاية سالونيك في (المُحرَّم ١٢٤١هـ/ أغسطس ١٨٢٥م)، وأرسل إلى الباشا يُعمله[١]، والواضح أنَّه لم يستمرّ في ولايته هذه سوى ثلاثة أشهر؛ لأنَّه عُزِلَ منها في (ربيع الآخر/ ديسمبر) من العام المذكور، وطلب من مُحمَّد علي التوسُّط له عند الدَّوْلة لتعيينه في أحد المناصب، وقد أرسل له الباشا في صحبة مندوبه خمسة وعشرين ألف قرش، وأخبره أنَّ مرغوبه سوف ينتهي عن قريبٍ[٢]، وقد رَفَعَ عريضة إلى السُّلطان مُباشرة، يطلب فيها العفو عنه، وإعادة الوزارة إليه، وتعيينه في منصب مناسب له[٣]، ونتيجة الجهود التي بذلها الباشا صدر فرمان سُلطاني بتعيينه على ولاية ديار بكر[٤] في (شوَّال ١٢٤١/ مايو ١٨٢٦)[٥]، فأرسل إلى مُحمَّد علي يعلمه بالأمرِ ويشكره، فهنَّأه الباشا على تعيينه[٦].

---

٢ يناير ١٨٢٥م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٤١. ونلحظ في هذه الفترة أنَّ أبو نبُّوت رَفَعَ التماسًا إلى السُّلطان لبيع ممتلكاته في يافا للوفاء ببعض الديون إلى زوجته، ويبدو أنَّه قرَّر من ذلك الحين عدم العودة إلى الشَّام. يُنْظَرُ: **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 278/16342 التماس من مُحمَّد أبو نبُّوت إلى السُّلطان محمود الثَّاني، بتاريخ (شوَّال ١٢٤٠هـ/ مايو ١٨٢٥م)؛ حسن إبراهيم سعيد، **يافا من الغزو النَّابليُوني إلى حملة إبراهيم باشا:** ٨٧–٨٨.

[٢] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى والي سالونيك، بتاريخ (١٨ المُحرَّم ١٢٤١هـ/ أوَّل سبتمبر ١٨٢٥م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٥٠.

[٣] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى مُحمَّد باشا أبو نبُّوت، بتاريخ (٢٦ ربيع الآخر ١٢٤١هـ/ ٧ ديسمبر ١٨٢٥م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٥٩.

[٤] **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 902/39639 رسالةٌ من مُحمَّد علي إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخها (١٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٨٢٥م). **ويُنْظَرُ ملحق رقم (٢).**

[٥] **ولاية ديار بكر:** تقع شرقي الأناضول، وهي جزءٍ من أرض كُردستان، وتبلغ مساحتها نحو خمسين كيلو مترًا مربعة، يحدّها ولايتا أرْضرروم وبتليس شمالًا، وولاية حلب جنوبًا، ولاية الموصل شرقًا، وولاية معمورة العزيز غربًا، وهي تتكوَّن من ثلاثة ألوية: ديار بكر (مركزها)، وماردين، وارغني. يُنْظَرُ: مُحمَّد أمين الصُّوفي السُّكري، **سمير اللَّيالي**، ج. ١ (القاهرة: المكتبة الأهلية، ط ١، ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م): ١٢٧–١٢٨؛ علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة:** ٢١٧–٢٢٨.

[٦] مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٤: ٢٨٧.

[٧] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى والي ديار بكر، بتاريخ (٢٦ شوَّال ١٢٤١هـ/ ٢ يونية ١٨٢٦م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٦٩.

ويبدو أنَّ أبو نبُّوت قد أساء استخدام سُلطاته أثناء ولايته، وقام بفرض ضرائب كثيرة، وترتَّب على ذلك وقوع الاضطرابات من الأكراد، وكَثُرَتْ الشِّكايات ضِدَّهَ، ورُفِعَتْ إلى السُّلطان[١]، وعلى إثر ذلك أرسل مُحمَّد أبو نبُّوت إلى مُحمَّد علي يلتمس مِنْهُ المساعدة والدَّعم المالي، ولكنَّ الباشا اعتذر منه بعدم قدرته على المساعدة في هذا الوقت نتيجة المأموريات الكثيرة المُسندة له من الدَّوْلة[٢]، وفي (٢٩ رمضان ١٢٤٣هـ/ ١٣ أبريل ١٨٢٨م) صَدَر فرمان بعزلهِ من ولاية ديار بكر، ورَفْع الوزارة عنه، ومُصادرة أملاكه، ونفيه إلى لواء تُوقَاد[٣] Tokat ليوضَع قيد الإقامة الجبريَّة[٤].

ولكنَّه لم يذهب إلى منفاه ونجح في الهروب ليلًا، وقد رُفِعَ الأمر إلى السُّلطان بترجيح هروبه إلى بغدد أو مصر، فأمر السُّلطان بتتبعه والسُّؤال في مصر، وإعدامه إذا وصلها[٥]، واتَّضح بعد ذلك أنَّه لجأ إلى والي بغداد إلى داوُد باشا[٦]، فأقام عنده، وطلب

---

[٢] **الأرشيف العثماني،** ***HAT.*** 445/22280 تقرير من مُحمَّد صالح إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخه (١٤ رمضان ١٢٤٣هـ/ ٢٩ مارس ١٨٢٨م)؛ ***HAT.*** 443/22234 ***A*** تقرير من مُحمَّد صالح إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخه (١٥ رمضان ١٢٤٣هـ/ ٣٠ مارس ١٨٢٨م).

[٣] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى والي ديار بكر، بتاريخ (١٥ رمضان ١٢٤٣هـ/ ٣٠ مارس ١٨٢٨م). **الأوامر والمكاتبات،** ج. ١: ٢٠٩.

[٤] **لواء تُوقاد:** أحد ألوية ولاية سيواس، شرقي الأناضول، ويُمَثِّل شمال الولاية، مركزه قَصَبَة تُوقاد، وبه نهر يُسَمَّى طوزانلي وتُوقاد. يُنْظَرُ: علي صائب، **الجغرافية المُفَصَّلة:** ١٤٥-١٤٦.

[٥] **الأرشيف العثماني،** ***HAT.*** 443/22234، فرمان سُلطاني بعزل مُحمَّد باشا أبو نبُّوت والي ديار بكر، بتاريخ (٢٩ رمضان ١٢٤٣هـ/ ١٣ أبريل ١٨٢٨م).

[٦] الوثيقة السَّابقة.

[٧] **داوُد باشا:** وُلِدَ في مدينة تفليس الجُورجية عام (١١٨٨هـ/ ١٧٦٧م)، وعُيِّن على ولاية بغداد عام (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، وهو آخر حكامها المماليك، اهتمَّ بالجيش وأسلحته نتيجة حروبه المستمرّة مع إيران، واعتنى بعمارة بغداد، وخصَّص جزءًا من وقته للتَّفرغ للعلم، وأظهر اهتمامًا بالغًا بالعلماء والمدارس، وقد عُزِلَ من ولاية بغداد عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م)، ونُفِيَ إلى بورصة، ثُمَّ عُفِيَ عنه وعُيِّن على ولاية البُوسْنة، ثُمَّ ولاية أنقرة، ثُمَّ عُيِّن شيخًا للحرم النَّبوي حتَّى وفاته عام (١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م) ودُفِنَ في البقيع. للمزيد يُنْظَرُ: يوسف عزّ الدين، **داوُد باشا ونهاية المماليك في بغداد**

شفاعته؛ ولذلك قام داود باشا برفع خطاب في (٢٣ المُحرَّم ١٢٤٤هـ/ ٤ أغسطس ١٢٢٨م)، يلتمس فيه العفو عن المذكور لمرضه، ويضيف أنَّه ذهب للعلاج إلى البصرة، واعتزم على الذهاب إلى مكة المُكرَّمة[١]، بعد إقامته في العراق عدَّة أشهر، ويبدو أنَّ داود باشا نتيجة الضُّغوطات التي تعرَّض لها من الدَّوْلة ومطالبتها بتسليمه.

وأيًّا ما كان الأمر، فقد التجأ مُحمَّد باشا أبو نبُّوت إلى مُحمَّد علي باشا، وهذه المرَّة كان لجوؤه إلى الحجاز؛ فقد وصل إلى جدَّة بحرًا، بَعْدَمَا خَرَجَ من بغداد إلى البصرة، ثُمَّ مسقط، ثُمَّ المُخا، ثُمَّ جدَّة[٢]، ومن هُناك أرسل إلى مُحمَّد علي، يُعلمه بقدومه، ومَا وقع معه، وقد طيَّب الباشا خاطره، وأهدى له مائة ألف قرش، وطلب منه إعلامه في أي المدينتين المُقدَّستين يودُّ الإقامة فيها، وأرسل الباشا إلى مُحافظي مكَّة المُكرَّمة والمدينة المُنوَّرة يأمرهما بالاهتمام بأبي نبُّوت والعمل على توفير كُلِّ الإمكانات اللازمة لراحته إذا أراد الإقامة لديهما[٣].

ويتَّضح أنَّ لجوءَهُ إلى مُحمَّد علي هذه المرَّة قد سبَّب له حراجًا بالغًا عنده، ويبدو أنَّه خشي أن يستغل أعداؤه هناك موضوع هروب أبو نبُّوت والتجائه إليه لإثارة السُّلطان على الباشا، ويتجلَّى ذلك في رسالة إلى شيخ الإسلام، يُخْبره بوصول مُحمَّد أبو نبُّوت

(بغداد: دار البصري، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م): ٢٣ وما بعدها؛ عبد العزيز سليمان نوَّار، **داوُد باشا والي بغداد** (القاهرة: دار الكاتب العربي، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

[٢] **الأرشيف العثماني**، ***HAT.*** 789/36782 من داود باشا والي بغداد إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخها (٢٣ المُحرَّم ١٢٤٤هـ/ ٤ أغسطس ١٨٢٨م)؛ مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٤: ٢٨٧.

[٣] **معية تركي**، دفتر ٤٠، رَقْم ٣٠١، من مُحمَّد علي باشا إلى شيخ أفندي، بتاريخ (١٢ رجب ١٢٤٤هـ/ ١٧ يناير ١٨٢٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ١١٠.

[٤] **محافظ الحجاز**، محفظة ٩٨، مُكاتبة ٩٨، من الجناب العالي إلى مُحمَّد باشا أبو لبود والي ديار بكر السَّابق، تاريخها (٩ رجب ١٢٤٤هـ/ ١٥ يناير ١٨٢٩م)؛ مُكاتبة ٩٩، من الجناب العالي إلى مُحافظ المدينة المُنوَّرة؛ مُكاتبة ١٠٠، من الجناب العالي إلى مُحافظ مكة المُكرَّمة، كلاهما بتاريخ (١٠ رجب ١٢٤٤هـ/ ١٦ يناير ١٨٢٩م). نقلًا عن: علي عفيفي علي غازي، **الجزيرة العربيَّة والعِراق في استراتيجيَّة مُحمَّد علي** (بيروت: دارُ الرافدين، ط ١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م): ١٨٥–١٨٦؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٢٤٥.

إلى جدَّة، وقد أبدى الباشا تخوُّفه من أن يقول خَصْمه في إسطنبول – مُحمَّد خسرو باشا سر عسكر الجيش[١] – أنَّه استقدم مُحمَّد أبو نبُّوت إلى مصر حتَّى «يستولي على بَرّ الشَّام»، وطلب منه أن يُفْهِم قُبُوكَتْخُدَا (وكيل الباشا) ما يجب أن يقوله عند السُّلطان حتَّى يدفع عنه التُّهم التي يُرَوِّجها خَصْمه[٢]، وهذه رسالة مثيرة للجدل؛ لأنَّ الباشا بعد سنتين من هذا التَّاريخ سوف يرسل ابنه إبراهيم لغزو الشَّام! والظَّاهر أنَّه حاول إخفاء رغبته في مدِّ نفوذه إلى الشَّام حينئذٍ؛ نظرًا لوجود بعض الضُّغوط التي تعرَّض لها من قِبَل خصومه في الدَّوْلة، وفي تلك الفترة تقريبًا بدأت عَلاقته بالسُّلطان يشوبها التَّوتر.

على أية حال، فإنَّ مصير مُحمَّد أبو نبُّوت عقب قدومه إلى الباشا غير واضح، ولم تتطرَّق المصادر إلى تفاصيله، وقد قيل إنَّه توفي في عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) في بغداد عند داوُد باشا[٣]، ولكن الرَّاجح أنَّه ظلَّ مُقِيمًا عند الباشا ووفاته كانت بعدها، ويُرجِّح ذلك وجود بعض المُراسلات بخصوصه، أنَّه بعد حملة الشَّام الأولى، فهُناك رسالةٌ من إبراهيم باشا إلى مُحمَّد علي في (١٧ جُمادى الآخرة ١٢٤٩هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٣م)، وقد أُرْفِقَ فيها عَريضتان إحداهما من الأكراد، والأُخرى من مُحمَّد أمين باشا، مُتَصَرِّف لواء موش[٤] Mush، وكلتاهما تَتَضَمَّنَان التماسًا بتدخُّل مُحمَّد علي لدى الباب العالي حتَّى يبقى مُحمَّد أمين باشا في منصبه[٥]، وعلى ذلك يبدو أنَّه رافق إبراهيم باشا في

---

[٢] مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٢: ٢٧٦.

[٣] **معية تركي**، دفتر ٤٠، رَقْم ٣٠١، من مُحمَّد علي باشا إلى شيخ أفندي، بتاريخ (١٢ رجب ١٢٤٤هـ/ ١٧ يناير ١٨٢٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ١١٠؛ **لأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٢٤٧.

[٤] مُحمَّد ثريا، **سجل عثماني**، ج. ٤: ٢٨٧.

[٥] **لواء مُوش**: أحد ألوية ولاية بِتليس (بِدليس) شرقي الأناضول، مركزه قَصَبَة موش، يحدّه ولاية أرضروم شمالًا، وولاية وان شرقًا، ولواء بِتليس جنوبًا، ولواء كنج غربًا، وأشهر بحيراته بولانيق كولي، ومُعظم مبانيه كانت من الأخشاب. يُنْظَرُ: علي صائب، **الجغرافية المُفَصَّلة**: ٢٣٩؛ مُحمَّد الصُوفي السُكري، **سميرُ اللَّيالي**: ١٢٦–١٢٧.

[٦] **عابدين**، محفظة ٢٤٨، رَقْم ٦٩، من إبراهيم باشا إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (١٧ جُمادى الآخرة ١٢٤٩هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٣م) نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ٢: ٣٦٦.

حملة الشام، وعُيِّن بعد ذلك على المنطقة المذكورة، وتوفي بعدها بعدَّة أشهر، ويظهر ذلك في رسالة من مُحمَّد علي تاريخها (٢٢ رمضان ١٢٤٩هـ/ أوَّل فبراير ١٨٣٥م) طَلَبَ من إبراهيم باشا منح أرملة مُحمَّد أبو نبُّوت من خزينة عكا مُرتَّبًا شهريًّا قدره ألف قرش، لعدم وجُود مَن يعينها[١]، وعلى ذلك تكون وفاته في الفترة الواقعة بين (١٧ جُمادى الآخرة – ٢٢ رمضان ١٢٤٩هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٣– أوَّل فبراير ١٨٣٤م).

ونافلة القول مِمَّا سبق: إنَّ مُحمَّد أبو نبوت لجأ إلى مصر في عهد مُحمَّد علي، وتشفَّع فيه الباشا، وقُبِلَتْ فيه شفاعته، لكنَّه لم يعد إلى مقرّ ولايته في يافا وغزَّة، بل سافر إلى إسطنبول، وقد تبدَّلت حياته هناك فقد منحه السُّلطان رُتبة الوزارة (الباشويَّة)، وتقلَّب في المناصب حتى أُسْنِدَت إليه أهم ولايات الدَّوْلة العثمانيَّة: الرُّوملي وسالونيك، ولم تنقطع عَلاقة أبو نبُّوت بالباشا، بل كان على تواصل معه، وعندما كان يغضب عليه السُّلطان ويعزله من الولاية، كان الباشا يتشفَّع فيه، وقد تشفَّع فيه ثلاث مرَّات.

وقد لجأ مُحمَّد أبو نبُّوت إلى مُحمَّد علي مرَّة أخرى، وهذه المرَّة كانت في الحجاز، ورَغْم ترحيب الباشا به، فإنَّه لم يتشفَّع له عند الدَّوْلة بسبب الشَّائعات التي روَّجت أنه استقدمه حتَّى يستفيد منه في غزو الشَّام، وقد حاول مُحمَّد علي نفي ذلك، وعندما عزم على غزو الشَّام كان أبو نبُّوت ضمن القوات المصاحبة لإبراهيم باشا؛ لأنَّ اسمه تردَّد في بعض الوثائق لإبقائه في لواء موش أحد ألوية ولاية بِتليس شرقي الأناضول. والواضح أنَّ مُحمَّد علي أقبل على هذه الشَّفاعات المُتتالية باعتبارها نوعًا من الهيمنة وفرض النُّفوذ في الدَّوْلة العثمانيَّة.

ولا ريب أنَّ مُحمَّد علي استفاد من مُحمَّد أبو نبُّوت في المرَّات التي لجأ فيها إليه بطريقة أو بأُخرى، فقد كان لديه معلومات عن منطقة جنوبي الشام (فلسطين) والتي تولَّى فيها حكم بعض المناطق، كما أنَّه عاصر بعض الولاة المشهورين في صيدا مثل: أحمد باشا الجزار، وسليمان باشا وشاركهم في الإدارة والحرب؛ ولذلك فقد كان لديه معلومات عن هذه المنطقة قلَّما توجد عند غيره، وقد استفاد منها مُحمَّد علي عند غزوه الشَّام في ثلاثينيات القرن التَّاسع عشر.

---

[٢] **عابدين**، دفتر ٢١١، رَقْم ٥٧، من مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، تاريخها (٢٢ رمضان ١٢٤٩هـ/ أوَّل فبراير ١٨٣٥م) نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ٢: ٣٨٣.

رابعًا– لجوء بشير الثَّاني الشِّهابي أمير جبل لبنان عام (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)

بشير الثَّاني الشِّهابي[١]، أمير جبل لبنان، وترجع أسباب لجوئه إلى مصر إلى التَّنافُس الدَّائر بين والي الشَّام درويش باشا[٢] ووالي صيدا عبد الله باشا[٣]، وسَعْي كُلّ

---

[٢] **بشير الثَّاني الشِّهابي:** بشير الثَّاني بن قاسِم بن عُمر بن حَيْدر الشِّهابي المُلَقَّب بالكبير، وُلِدَ في بَلْدة غَزِير – شمالي بيروت – عام (١١٨٠هـ/ ١٧٦٧م)، وتولَّى إمارة الجبل عام (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م)، بدعمٍ من والي صيدا أحمد باشا الجزَّار، واستطاع في فترةِ حكمه التي ناهزت نصف قرن أن يكون صاحب اليد العليا في لبنان، ويقضي على كُلِّ مُنافسيه، وقد تأرْجَحت عَلاقاته مع ولاة الشَّام، وولاة صيدا بين الود والعداء، وتوطَّدت عَلاقته مع مُحمَّد علي باشا، وكان من أهمّ أعوانه ومُسَانديه أثناء حربي الشَّام الأُولى والثَّانية؛ وبعد خروج القوات المصريَّة من الشَّام عَزله السُّلطان من الإمارة عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)، ونُفِيَ إلى جزيرة مَالْطة، ثُمَّ طَلَبَ الإقامة في إسطنبول التي تُوفِّي بها عام (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م)، ودُفِنَ في دير الأرمن الكاثوليك في بلدة غَلَطَة، ثم نُقِلَ رفاته إلى لبنان عام (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ودُفِنَ بقصره في بلدة بيت الدين. يُنْظَرُ: بُطرس ف. صفير، **الأمير بشير الشِّهابي: طَرائف عن حَياته وأحكامه وأخْلاقه** (بيروت: دارُ الطِّباعة والنَّشر اللُّبنانيَّة، ط ١، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م): ١٦ وما بعدها؛ ليندا طنُّوس رزق، «الإمارة الشِّهابيَّة في ظلِّ الأمير بشير الثَّاني» (بيروت: **مجلَّة الحداثة**، ع. ١٩٥–١٩٦، خريف ٢٠١٨م): ٩١–١٠٥.

[٣] درويش باشا: درويش مُحمَّد باشا ابن رستم آغا، وُلِدَ في مدينة بوردور Burdur – جنوب غربي تركيا حاليًّا – عام (هـ/ ١٧٦٥م)، تقلَّب في المناصب، وعُيِّن واليًا على بورصة، ثُمَّ إسكي شهر، ثُمَّ ولي الصَّدارة العُظمي بين عامي (١٢٣٣–١٢٣٥هـ/ ١٨١٨–١٨٢٠م)، ثُمَّ ولاية الشَّام عام (١٢٣٦– ١٢٣٨هـ/ ١٨٢١–١٨٢٢م)، ثَمَّ ولي الأناضول، ثُمَّ فُصِلَ من عمله عام (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م)، ثم عُفِيَ عنه، وعُيِّن شيخًا للحرم المدني، لكِنَّه تُوفِّي عقب وصوليه إلى يَنْبُع عام (١٨٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، قُبَيْل وصوله إلى المدينة المُنَوَّرة، يُنْظَرُ: شمس الدين سَامي، **قاموس الأعلام: تاريخ وجغرافيا لغاتنى وتعبير اصلحه كافه٤ اسماء خاصه يى جامعدر**، اوجنجى جلد (إستانبول: مهران مطبعه سى، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م): ٢١٣٨.

[٤] **عبد الله باشا:** عبد الله باشا بن علي باشا الخزنْدَار، وُلِدَ نحو عام (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م)، وولي صيدا أواخر عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م)، ووقع صراع بينه وبين درويش باشا والي دمشق، وتدخَّل مُحمَّد علي ليتشفَّع فيه عند السُّلْطان، وبعد ذلك ساءت عَلاقته مع الباشا، وفي حملة الشَّام الأُولى قَبَضَ عليه إبراهيم باشا، بعد فتح عكا عام (١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢م)، وأرسله إلى الإسكندريَّة، ثم أرسله

منهما إلى استقطابه، وقد نجح الأخير في اجتذابه إليه لالتقاء مصالحهما، فتحرَّك بشير الشهابي بقوَّاته إلى والي الشَّام وتغلَّب عليه في إحدى المعارك، ثُمَّ حاصره في دمشق؛ فغضب السُّلطان على والي صيدا وأصدر فرمانًا بعزله، لِتَعَمُّده إثارة الفِتَن، وأصدر أوامره إلى والي حلب ووالي أضنة بالتَّحرُّك إلى دمشق ومساعدة درويش باشا[١].

واضطر الأمير بشير إلى تَرْك مقرّ ولايته – بعدما تعيَّن الأمير عبَّاس شهاب بدلًا منه من قِبَل والي الشَّام – فاتَّجه إلى بيروت، وفي تلك الأناء نجحت بعض قُوَّات والي الشَّام في الاستيلاء على صيدا، فتأكَّد الشهابي أنَّه لا جَدْوى من المُقاومة[٢]، وبخاصَّة بعد أن أرسل الأمير عبَّاس يأمره بالخُروج من الشَّام، وإلَّا قبض عليه حَسْب أوامر درويش باشا[٣]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الأمير في بداية الأمر لم تَكُن لديه الرَّغْبة في ترك الشَّام، وذكر حيدر الشهابي «كان الأمير بشير بَاطِنًا لا يَرْغب الخُروج من بِلاده، وقد كان عَازِمًا على مُحاربة عسكر الشَّام؛ حيث إنَّه كان عَالِمًا بعدمِ قُدْرتهمْ على الحَرْب»؛ فاتَّجه إلى بعض المدن، وحاول دخولها للإقامة بها، ولكن رفض أهلها[٤].

الباشا إلى إسطنبول، فعيَّنه السُّلطان في مشيخة الحرم المدني، وظلَّ فيه بضع سنين حتى وفاته بعد عام (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م)، ودُفِنَ في المدينة المُنوَّرة. يُنْظَرُ: عبد الرزَّاق البَيْطَار، **حِلية البشر**، ج. ٢: ٩٤٨–٩٦٣؛ عَارف أحمد عبد الغَني، **تاريخ أُمراء المدينة المُنوَّرة** (دمشق: دارُ كنَان للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م): ٤٠٩–٤١٠.

[٢] أحمد جودت، **تاريخ جودت**، مج ١٢: ٧٤؛ مخائيل مشاقَّة، **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان**: ٨١–٨٥؛ نعمَان قساطلي، **الرَّوْضَة الغنَّاء في دِمشق الفيْحاء** (بيروت: د. ن، ط ١، ١٢٩٩هـ/ ١٨٧٩م): ٨٥–٨٦.

[٣] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٥.

[٤] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢، نَظَرَ فيه ووَضَعَ مُقدِّمته وفَهَارسه: فؤاد إفرام البُسْتانيُّ (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة، قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رَقْم «١٩»، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م): ٤٢٣.

[٥] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٤–٧٢٥.

وتدهورت الأوضاع بسقوط صيدا في أيدي والي الشَّام، وزحفه إلى عكا مقرّ حليفه عبد الله باشا، كُلّ ذلك أدَّى إلى عُزُوف الأمير عن الإقامة في الشَّام، وطلب النَّجاة لنفسه، ودليل ذلك أنَّه استأجر سفينة بصورة سرّيَّة وأبقاها على أُهْبَة التحرُّك وقت احتياجه[١]، «توجَّه إلى ناحية مصر القاهرة، والتجأ إلى حضرة الوزير مُحمَّد علي باشا»[٢]، ويبدو أنَّه لم تكن لديه وجهة مُحدَّدة يستعد لها، ولكن الواضح أنَّه قرَّر أن يكون خروجه من الشَّام من الطَّريق البحري، ودليل ذلك أنَّه أعدَّ السفينة المذكورة؛ ولعلَّه اختار ذلك لأنَّ التحرُّك على الطَّريق البري أصبح محفوفًا بالمخاطر.

عندئذٍ بدأت تتفتق عنده فكرة اللُّجوء إلى مصر، فما أسباب اختيار مصر؟ وهل كانت هذه رغبة الأمير؟ ومَن اقترح عليه ذلك؟ وكيف تواصل معه؟ وما موقف عبد الله باشا من خروج حليفه وتركه في ساحة القتال وحيدًا؟

إنَّ اختيار اللُّجوء إلى مصر يرجع إلى أسباب عدَّة منها الشُّهرة الواسعة التي تمتَّع بها مُحمَّد علي ومكانته عند الدَّوْلة، بعد نجاحه في استرداد الحرمين الشَّريفين من الوهَّابيين؛ ولذلك كان السُّلطان يُراعي خاطره[٣]، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنَّ الباشا اشتهرت مواقفه السَّابقة بشفاعته ببعض القادة الذين غَضب عليهم السُّلطان، وقُبِلَتْ شفاعته وعُفِيَ عنهم، كما ذُكِرَ آنفًا.

وغالب الظَّن أنَّ اختياره اللُّجوء إلى الباشا لم يكن من بنات أفكاره، فلم يكن بينهما أي تواصل أو مُراسلات قبل ذلك، وإن كان الأمير بشير قد ذهب إلى مصر إبَّان خروج الغزو الفرنسيّ، والرَّاجح أنَّ الأمر جاء اقتراحًا من قِبَل بعض أتباعه المُصَاحبين

---

[٢] استأجره الأمير سرًّا عن طريق رجل فرنسي يُدعى أوبين بخمسة عشر ألف قرش، فأبقاه في بيروت. يُنْظَرُ: ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان:** ٩٦؛ حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٢٤-٧٢٥.

[٣] حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد:** ١٧٩.

[٤] جُرجي زيدان، **تَراجم مشاهير الشَّرق في القرن التَّاسع عشر**، ج. ١ (القاهرة: مُؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م): ٨٢.

له، ويرى بعض الباحثين أنَّ المُعلِّم نِقُولا التُّرْك[١] هو مَن شجَّع الأمير على اللُّجوء إلى مُحمَّد علي والتَّفاهم معه؛ لأنَّه كان قد أقام مِن قَبْل في مصر، وكان من المُعْجبين بالباشا وسياسته التي طبَّقها[٢].

وأمَّا الطَّريقة التي تواصل من خلالها الأمير بالباشا، فيتَّجه بعض الباحثين أنَّ الأمير اتجه إلى توسيط أحد الشَّوام المقيمين بمصر، الذين ربطتهما معرفة سابقة، وهو حنَّا البحريُّ[٣]، الذي كان يعمل كاتبًا في ديوان مُحمَّد علي، فأرسل له الأمير يطلب منه

---

[٢] **نِقُولا التُّرك:** نِقُولا بن يُوسُف بن ناصيف التُّرْك الإسطنبولي اللُّبناني، ينحدر من أُسرة يونانيَّة، وُلِدَ في مدينة دير القمر عام (١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م)، وتلقَّى العِلْم فيها، ودخل في خدمة الأمير بشير الشهابي، ثُمَّ انتقل إلى مصر وقت الغزو الفرنسي وعمل كاتبًا معهم، ثُمَّ عاد إلى لبنان وصار ملازمًا للأمير بشير، واشتهر بقرض الشعر، والتَّأليف التَّاريخي، من أهم مُؤلَّفاته تاريخ نابليون، تاريخ أحمد باشا الجزار، تاريخ جبل لبنان، تاريخ عن الحملة الفرنسية في مصر، مات في دير القمر عام (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م)، ودُفِنَ فيها. يُنْظَرُ: يوسف إليان سركيس، **مُعجم المطبوعات العربيَّة والمُعَرَّبة**، مج. ١ (مصر: مطبعة سركيس، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م): ٦٣٠–٦٣٢؛ عُمر عبد العَزيز عُمر، **عبد الرَّحمن الجَبَرْتي ونِقُولا التُّرك: دراسة مُقارنة** (بيروت: جامعة بيروت العربيَّة، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م).

[٣] أسد رُسْتم، **بشير بين السُّلطان والعَزِيز ١٨٠٤–١٨٤١م** (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رَقْم «٢»، ط ٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م): ١٥؛ عُمر عبد العَزيز عُمر، «العَلاقات المِصريَّة اللُّبنانيَّة فيما بين ١٨٢٢–١٨٤٠م» (الإسكندريَّة: **مجلَّة كلية الآداب**، جامعة الإسكندريَّة، عدد ٢٦، لسنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م): ٧١.

[٤] **حنَّا البحريُّ:** حنَّا بن مِيخائيل بن عبُّود البحريُّ، وُلِدَ في حِمْص في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر الهجري/ الثَّامن عشر الميلادي، ينتمي إلى طائفة الرُّوم الكاثوليك، ونزح إلى مصر عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) مع أخيه عبُّود البحريُّ – الذي عمل كاتبًا في معية الباشا – وأصبح حنَّا من أقرب رجال الباشا وموضع ثقته، وأرسله مُعاونًا لإبراهيم باشا في حملة الشَّام، وعُيِّن لإدارة الشئون الماليَّة في الشَّام، وحاز لقب بك، فكان أوَّل مسيحي شرقي يناله، ثُمَّ منح رُتبة أمير لواء، وإقطاعات واسعة، تُوفِّي عام (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م). يُنْظَرُ: أدهم آل جندي، **أعلام الأدب والفن**، ج. ٢ (دمشق: مطبعة الاتحاد، ط ١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م): ٦٥؛ لطيفة مُحمَّد سالم، **الحُكم المصري في الشَّام** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م): ١٠٧ وما بعدها.

التَّوسُّط عند الباشا ليقبل قُدومه إلى مصر[١]، وقد أدَّى البحريُّ دورًا مهمًّا في توطيد العَلاقات بين الباشا والأمير[٢].

وهذا الرَّأي لا يُقَدِّم الحقيقة كاملة، ويُخالف الواقع القائم؛ لأنَّ العَلاقة كانت مُتوترة بين الأمير بشير وحنَّا البحريّ، وبخاصَّة إذا عَلِمنَا أنَّ البحريَّ كان كاتبًا عند يوسف باشا كَنْج، وفرَّ معه إلى مصر، عندما حاربه الأمير بشير وسليمان باشا –كما تمَّت الإشارة– إذن مَن الذي عمل على إزالة الجفوة بين الشِّهابي والبحريّ؛ حتَّى يتناسى الخِلاف ويقوم بمَهَّمته؟ الحقيقة أنَّه بالنَّظر إلى حاشية الأمير المُصَاحِبين له وقت وقوع هذه الحوادث نجد فيهم شاعره بُطْرس كَرَامَة[٣]، الذي لم تبرز المصادر دوره رغم أهميته، فقد كان بمثابة الجُندي المجهول أو الخَفي الذي أصلح بين الجانبين، وبخاصَّة إذا علمنا أنَّ ابن

---

[٢] مخائيل مشاقَّة، **حوادث سوريا ولبنان:** ٨٥؛ بولس قرألي، «مخطوطة ثمينة عن حملة إبراهيم باشا المصري على سوريا ١٨٣١–١٨٣٩م» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٢، ج. ٥، مايو ١٩٢٧م): ٢٦٨.

[٣] مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات بين مصر ولُبنان في عهد مُحمَّد علي** (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين «٢٥٥»، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م): ٢٨٣.

[٤] بُطْرس كرامة: بُطْرس إبراهيم كرامة، وُلِدَ في حِمْص عام (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م)، ونشأ فيها، وتخرَّج على يد خاله ميخائيل البحري، الذي كان شاعرًا أديبًا، وكاتبًا بارعًا، وأتقن اللُّغتين العربيَّة والتُّركيَّة، ونبغ في الشِّعر، وقد انتقل إلى عكا، وخَدَمَ في ديوان علي باشا الأسعد، ثُمَّ رَحَلَ إلى الأمير بشير الشِّهابي، ودَخَلَ في خدمته، فعيَّنه مُعلِّمًا لولديه: خليل وأمين، بجانب عمله في تنظيم الماليَّة، وصَحِبَ الأمير بشير عند لجوئه إلى مصر عام (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)، وأنشد في ذلك قوله:

رَحلنَا وَخَلَّينَا المَنَازل بَعْدَنَا تُشِير بِكَف أَبْيَض وَبنَان
أبينَا احْتِمَال الذُّل أو نهلك الوَرَى فَقَمْنَا وَخَلينَا بِدُون طعَان

وقد نال مكانة كُبرى في الشَّام فترة الحُكم المصري؛ نتيجة وجود ابن خاله حنَّا البحريّ، وبعد عَزْل الأمير بشير الشِّهابي من ولايته، رَحَلَ إلى إسطنبول، وعَمل مُترجمًا في نظارة الخارجيَّة والباب العالي حتَّى وفاته عام (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م). يُنْظَرُ: جُرجي زيدان، **تَراجم مشاهير الشَّرق**، ج. ٢: ٣١١–٣١٥؛ خليل مَرْدَم، **أعيان القرن الثَّالث عشر في الفِكر والسِّياسة والاجتماع** (بيروت: لجنة التُّراث العربي، ط ١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م): ٢٠٨–٢١٠؛ ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان:** ١٠٠–١٠١.

خاله هو حنَّا البحريُّ[١]، وغالب الظَّن أنَّ كَرَامَة تواصل مع ابن خاله ليمحو خلافه الماضي مع الشِّهابي، والعمل على أخذ الموافقة من مُحمَّد علي بأن يلجأ الأمير إليه، وقد نَجَحَ الرَّجُلان في دورهما، وكان كَرَامَة مصاحبًا للأمير في مصر.

وأمَّا موقف عبد الله باشا من لجوء الأمير بشير إلى مُحمَّد علي، ففي البداية لم يوافق على طلبه، وأمره بالبقاء في الشَّام على أن يَمُدَّه بالمال[٢]، ولكِنَّه اضطر بعد ذلك إلى الموافقة[٣]، وقد يقول قائل: أوليس من الأَوْلَى ألَّا يرحل الأمير ويسعى لتقدِيم الدَّعْم اللازم لسيِّده؟ ولماذا وافق عبد الله باشا بعد رفضه؟ الجواب: أنَّ الرَّاجح أنَّ عبد الله باشا سَمح بخروج الأمير بعد أنْ تَقَطَّعَتْ بهم الأسباب، وتَثَبَّت من عَدَم قدرته على القُدُوم إليه لنجدته، خاصَّة عَقب سقوط صيدا في أيدي والي الشَّام، وإعلان المدن التَّابعة لها خروجها عن طاعتهِ، وفي الوقت ذاته زحف ولاة الشَّام، وحلب، وأضنة على عكا لمُحاصرته فيها[٤].

ومن ناحية أخرى رُبَّما رأى أنَّ لجوء الأمير بشير إلى مُحمَّد علي قد يأتي بالخير لهما؛ لأنَّه في الوقت الذي قدَّم الأمير طلبه باللُّجوء كان عبد الله باشا على اتصال مع مُحمَّد علي، فقد أرسل كَتْخُداه برسائل عدَّة يطلب دَعْمه ومُساعدته، ويُطْلعه على كافَّة التَّطوُّرات الواقعة في الشَّام، والحِصَار المضروب عليه، وتطرَّق خلالها للأمير بشير، وأثنى عليه؛ لوقوفه ضد أعدائه[٥]، ولا ريب أنَّ اشتهار أمر القادة اللاجئين الذين تشفَّع

---

[٢] ميخائيل بُطرس، **المُعَلِّم بُطرس كَرامَة شَاعر الأمير بشير الشِّهابي الكبير** (حِمْص: د. ن، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م): ١٥–١٩؛ مسعود ضاهر، **الهجرة اللُّبنانيَّة إلى مصر: هجرة الشَّوام** (بيروت: الجامعة اللُّبنانيَّة، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م): ١٢٥؛ ميخائيل الدمشقي، **حوادث الشام ولبنان**: ١٠٠–١٠١.

[٣] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٤، ٧٢٥.

[٤] مخائيل مشاقَّة، **حوادث سوريا ولبنان**: ٨٥.

[٥] حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد**: ١٧٨، ١٧٩؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢١–٤٢٣.

[٦] **بحر برا**، محفظة (٨)، رَقْم ٥٤، رسالةٌ من عبد الله باشا إلى مُحمَّد علي باشا، بتاريخ (١٨ ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ ٦ أغسطس ١٨٢٢م)؛ ورَقْم ٦٥، رسالةٌ من عبد الله باشا إلى مُحمَّد علي باشا،

فيهم مُحمَّد علي ومكانته العُظمى عند السُّلطان هو ما شجَّعه على الاتصال به، واعتقد أنَّه لا عاصم له مِن ما أُحِيطَ به إلَّا بدَعْمٍ منه وتأْييده، ليرفع عنه غضب السُّلطان، ويبقى على رأس ولايته؛ فلرُبَّما رأى أنَّ لجوء شخص مثل الأمير بشير إلى مُحمَّد علي قد يؤدي إلى إنجاح ما فشل فيه كَتْخُدَاه الذي أرسله قبل في سفارات إلى القاهرة، ويجعل الباشا يَلْتَفِت إلى قضيته، ويُحَقِّق مُبتغاه.

على أيَّة حال، ففي خِضَم ذلك كان الأمير بشير قد أرسل رسوله إلى مُحمَّد علي، ثُمَّ عَاد من مصر بمُوافقة الباشا بقدوم الأمير وأتباعه، فأمر الشِّهابي بإحضار المركب الفرنسي من بيروت إلى خَلْدَة[١]، وفي يوم الثُّلاثاء (١٨ ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ ٦ أغسطس ١٨٢٢م) رَكِبَ الأمير وولداه: خليل، وأمين، وأربعة وتسعون من خدمه وأتباعه، وفي ليلة الأربعاء تحرَّك المركب ناحية مصر، قاصدًا ثغر دِمياط، ووصلها بعد خمسة أيَّام، في يوم الأحد (٢٣ ذو القعدة/ ١١ أغسطس)، وطلع الأمير وأتباعه إلى عِزبة البُرْج، واستقبله نائب مُتسلِّم دِمياط، وفي اليوم التَّالي اتَّجه الأمير إلى دِمياط[٢]، فتلقَّاه حسن آغا مُتسلِّم دِمياط بالتَّرحيب، وأرسل إلى مُحمَّد علي في الإسكندرية يُعلمه بوصول الأمير، وبعد بضعة أيَّام جاء ردّ الباشا مُؤرَّخ (٢٧ ذي القعدة/ ١٥ أغسطس) يأمر أن يتوجَّه الأمير وأتباعه إلى القاهرة[٣]، وأرسل الباشا أوامره إلى الكَتْخُدا أن يوفر مسكنًا للأمير ومَن معه من أتباع، ويمدُّهم بالمؤونة[٤]، ورفع درويش باشا إلى الباب العالي رسالة تفيد فرار بشير الشهابي إلى مصر ونزوله على مُحمَّد علي[٥].

بتاريخ (٢٥ ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ ١٣ أغسطس ١٨٢٢م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، مج. ١: ٣٣–٣٨؛ أسد رُسْتم، **بشير بين السُّلطان والعَزِيز**: ٣٧–٣٩.

[٢] خَلْدَة: بلدة ساحلية تقع جنوبي بيروت بنحو اثني عشر كيلو مترًا.

[٣] المكان الذي أقام فيه الأمير وأبنائه صار يُعْرف بحي الشِّهابيَّة حتَّى الآن في محافظة دِمياط.

[٤] أمرٌ من مُحمَّد علي إلى مُحافظ دِمياط، بتاريخ (٢٧ ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٢٢م)، **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٦٧.

[٥] **معية تركي**، دفتر (٩)، رَقْم ٧١١، بتاريخ (آخر ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ أغسطس ١٨٢٢م). نقلًا عن: مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات المصريَّة اللُّبنانيَّة**: ٣٠٣.

[٦] **الأرشيف العثماني، HAT. 386/ 20672** من درويش باشا إلى الباب العالي بتاريخ (٨رجب ١٢٣٨هـ/ ٢٠ مارس ١٨٢٣م). وينظر ملحق رقم (٣).

ويتَّضح من رسائل مُحمَّد علي حرصه المُفرط في التَّكَتُّم على الأمير وحاشيته، وإخفاء أمره، وإحاطة تحرُّكاتهم بالسريَّة التامَّة، وهذا نَتَبَيَّنه في أوامره إلى حاكم دِمياط وكذلك كَتْخُدَاه في القاهرة، فتارة يُوجِّه أن يتمَّ نقلهم إلى القاهرة «خِفْيَة بدون ما يشعر أحد كأنَّهم عساكر»[١]، وتارة أُخرى يُشَدِّد على ضرورة «أن يُنكر الأمير بشير لشخصيته»[٢] حتَّى لا يعرفه أحدٌ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى رَغْبَة الباشا في عدم انتشار خبر وصوله مصر إلى السُّلْطان، فيثير غضبه، ويحدث ما لا يُحمد عقباه، خاصَّة أنَّ الأمير بشير أحد أتباع عبد الله باشا، وكلاهما تسبَّب في الأزمة الرَّاهنة في الشَّام، فَرُبَّما أراد الباشا أن يلتقي بالأمير بشير سرًّا ليقف على ما لديه من أخبار، ويتبيَّن حقيقة الأزمة، ومن ناحية أخرى يتمكَّن من ترتيب الأمر والتَّمهيد له عند الدَّوْلة، لطلب الشَّفاعة فيهم.

وأيًّا ما كان الأمر، فقد رَكِبَ الأمير وحاشيته النيل من دِمياط إلى بولاق فوصلها في (٦ ذي الحجة/ ٢٤ أغسطس)، فتلقَّاه المُعَلِّم حنَّا البحريُّ، وأخبره أنَّهُ مُرْسَلٌ لاستقباله من كَتْخُدا بك[٣]، ثُمَّ التقى الأمير بشير بالكَتْخُدَا بك، وفي اليوم التَّالي اجتمع بإبراهيم باشا، ثُمَّ جاء حنَّا البحريُّ وأخبر الأمير أنَّه صَدَرَ أمر بأن يُقِيم في بني سويف لحين عودة الباشا من الإسكندريَّة[٤]، ويذكر أحد الرُّهبان المارون المعاصرون في مصر «أنَّ الأمير بشير تمَّ سَفَره إلى بني سويف مساء الاثنين ٢٦ آب [أغسطس] كحَسْب مرسوم ولي النِّعم، ومن حيث لم وجد مَطْرح لينزل فيه لوجود العساكر في بني سويف، ألزم وجهوه إلى الفَشْن، وهو يَبْعد عن المَطْرح المذكور نحو أربع ساعاتٍ، وعيَّنوا له خَراج كافي من كُلِّي وجُزْئي يوميًّا، وعشرين كيس خَراجِيَّة في كُلِّ شهر»[٥].

---

[٢] أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٢٩٦.

[٣] **معية تركي**، دفتر (٩)، رَقْم ٧١١، بتاريخ (أخر ذو القعدة ١٢٣٧هـ/ أغسطس ١٨٢٢م). نقلًا عن: مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات المصريَّة اللُّبنانيَّة**: ٣٠٣.

[٤] كَتْخُدَا بك الديوان الخديوي محمود بك عزت الأرناؤودي، توفي عام (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م).

[٥] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٤.

[٦] رسالةٌ من الأب أرسانيوس قرداحي الحلبيّ اللُّبنانيّ إلى الأب العام في لبنان، بتاريخ (٣٠ تشرين الأوَّل [أكتوبر] ١٨٢٢م الموافق ١٤ صفر ١٢٣٨هـ) نقلًا عن: فهد بُطْرس، **تاريخ الرَّهْبانيَّة**

وهكذا تم سَفَرَ الأمير إلى الفَشْن، ووصلها في (١١ ذي الحجة/ ٣٠ أغسطس) من العام المذكور، وأقام فيها نحو سبعين يومًا، ثُمَّ أُعِيدَ إلى بني سويف، وبقي فيها حتَّى عودته إلى القاهرة في (٦ ربيع الآخر ١٢٣٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨٢٢م)[١]؛ أي أنَّه ظلَّ مُقيمًا في الصَّعيد في الفَشْن وبني سويف نحو أربعة أشهرٍ.

واختلفت الآراء في أسباب توجيه الأمير وحاشيته إلى الصَّعيد، وعدم إبقائهم في القاهرة، وقد اتَّجه بعض المؤرخين إلى أنَّ ذلك احترامًا للدَّوْلة العثمانيَّة وتقديرًا لها[٢]، بينما بَرَّر حنا البحريُّ في مَعْرض حديثه للأمير ذلك أنَّ الموضع – أي بني سويف – على شاطئ النيل وقليل الحرّ[٣]، والرَّأي الأوَّل هو ما يرجحه الباحث ويميل إليه، فالأمير وصل مصر في أواخر أغسطس؛ أي في الصَّيف، فإنْ كان يُريد الباشا أن يُنْزله في مكانٍ بعيدٍ عن الحرّ، فكان الأَوْلَى نقل الأمير إلى إحدى مُدن الوجْه البحري للإقامة فيها، أو يستقدمه إليه في الإسكندرية حيث يُقِيم، ولكنَّ الباشا – كما تمَّت الإشارة – أراد إخفاء قدوم الأمير بشير وحاشيته؛ ولذلك عمد إلى نقل إقامتهم في مكانٍ بعيدٍ عن مُجْريات الأمور بالقاهرة، فتراهم لم يمكثوا بها إلَّا يومين، حتَّى أسرع الباشا بإصدار أمر نقلهم؛ حتَّى لا ينتشر نبأ قدومهم، مِمَّا قد يتسبَّب في إثارة غضب السُّلطان.

ويقودنا ما سبق إلى البحث عن إجابة لبعض التساؤلات، هل مُنِعَ الأمير طوال المُدَّة التي قضاها من التَّواصل مع غيره سواء في مصر أو خارجها أم سُمِحَ له بذلك؟ وما موقف الأمير من إقامته في الصَّعيد وطول المُدَّة التي قضاها هناك؟ ولماذا تأخَّر الباشا في الالتقاء بالأمير؟ هل كان عن عمد أم لظروف طارئة؟

اللُّبنانيَّة المَارُونيَّة بفرعيها الحَلبيّ واللُّبنانيّ ١٨٠٨-١٨٥٩م، ج. ٦ (جونيه، لبنان: مطبعة الكريم الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م): ١٦٦؛ بولس قرألي، «رحلة الأمير بشير الثَّانية إلى مصر» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٣، ج. ١، يناير– كانون الثاني ١٩٢٨م): ٣٢، حاشية ٢.

[٢] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٨، ٧٣٠.

[٣] مخائيل مشاقة، **حوادث سوريا ولبنان**: ٨٥.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٨.

الحقيقة طوال المُدَّة التي أقامها في الفَشْن وبني سويف، لم يكن الأمير في معزلٍ عن العالم المحيط به، بل كان يأتيه بعض كِبار قادة الجند ويجلسون معه في قصره، وكانت تصله الرَّسائل من الشَّام من أقاربه والبيوت المشهورة[١]، وبعض الولاة، ومنها رسالة من والي صيدا عبد الله باشا في (٣ المُحَرَّم ١٢٣٨هـ/ ٢١ سبتمبر ١٨٢٢م)، وأخبره فيها بالتطوُّرات الواقعة في الشَّام، وأكثر في ثنائه على الباشا، وأخبره أنَّه وصل إلى مسامعه «ما أنْتم حاصِلون عليه من طَرف سعادته من الإكرام، ومَزيد الاحترام، وجَبْر الخاطر، فهذا هو شأن شيمته ودستوريته...»[٢]، ووصلت إلى الأمير رسالة من مصطفى باشا بيلانلي (٢٨ المُحَرَّم ١٢٣٨هـ/ ١٦ أكتوبر ١٨٢٢م)، يعلمه بتعيينه على ولاية صيدا[٣]، ويطمئن عليه، بقوله: «وسبب تأكيد ميلنا الخصوصي لنحوكم تفحَّصنَا عنكم، فتقرَّر لدينا بأنَّكم توجَّتهم إلى محروسة مصر...»، وكان مصطفى باشا يسعى لإعادة الأمير حاكمًا على ولايته، حتَّى يستفيد منه في حصار عكا[٤].

وقد أرسل الأمير بشير هذه الخطابات إلى الكَتْخُدا في القاهرة، الذي رفعها بدوره إلى مُحمَّد علي في الإسكندريَّة، فجاء أمره – بعد مُطالعتها – أنَّ الأمير ينبغي أن يكتب الردّ من طرفه، على عبد الله باشا ليخبره أنَّ الباشا يعمل جاهدًا لتسوية أموره في إسطنبول ويسعى له بالخير فيها، وينبغي عليه أن يرعى ذلك، وأضاف أنَّ بقية الرَّسائل يردّ بما يتناسب مع محتواها أو يتجنَّب الردّ[٥].

على أية حال، فقد نَفَّذَ الأمير المطلوب منه؛ فأرسل إلى مصطفى باشا وأخبره «أنَّه مُقِيم في الدِّيار المصريَّة بكُلِّ إكرام، تحت أنظار صاحب السَّعادة عزيز مصر»[٦].

---

[٢] **الأرشيف العثماني، HAT. 386/ 20672A** من بشير الشهابي إلى بيت أبو اللمع بتاريخ (٢٩ جُمادى الأولى ١٢٣٨هـ/ ١٠ فوابر ١٨٢٣م). ويُنْظَرُ مُلحق رقم (٤).

[٣] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٢٩.

[٤] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان،** ج. ٢: ٤٢٤.

[٥] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٣٠.

[٦] أمرٌ من مُحمَّد علي إلى كَتْخُدَا بك مصر، بتاريخ (١٤ صفر ١٢٣٨هـ/ أوَّل نوفمبر ١٨٢٢م). يُنْظَرُ: **الأوامر والمكاتبات،** ج. ١: ٧١.

[٧] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٣٠.

ولمَّا وَصَل ردّ الأمير إليه، غضب منه، فكَتَبَ إلى أمير الجبل يأمره أن يُنَبِّه الجميع في إمارته بعدم مُكاتبة الأمير، ويمكن إرجاع غضب مصطفى باشا إلى أنَّ الخطاب الذي أرسله إلى الأمير ترتَّب عليه تدهور عَلاقته مع درويش باشا والي الشَّام، الذي كان من أشدّ الحانقين على الأمير[١]، ولم ينسَ الهزيمة التي تلقَّاها منه..

ولا ريب أنَّ رفع الأمير بشير هذه الرَّسائل إلى مُحمَّد علي كان يَريد من ورائها تحقيق الاستفادة، فمن ناحية مُحاولة منه للوقوف على ما يضمره له الباشا، ومن ناحية أخرى يظهر عظم مقامه ومكانته؛ لأنَّ الرَّسائل توضِّح أنَّ الولاة في الشَّام يخطبون ودَّه، ويُريدون عودته، رغم أنَّه تخلَّى عن الولاية، وابْتعد عنها[٢].

والواضح أنَّ الأمير بشير كان قلقًا من إقامته في الفَشْن، وقد عبَّر عن ذلك حَيْدر الشهابي بقوله: «كان عِنْده تَفَكُّر لبُعْد المحلّ عن مصر، وبُعْد وصُول المُكَاتبَات التي تُرْسل إليه من بَرّ الشَّام»[٣]. هذا بالإضافة إلى أن طول مُدَّة إقامته دون وجود اتصال من الباشا رُبَّما تكون أدَّت إلى شعوره بالملِ نظرًا لتأخُّر تَحَقُّق مطلبه، ويبدو أنَّه أصابه الشَّك وسُوء الظَّنّ، ودَارَ في خَلَدِهِ أنَّ أمره انتهى، وأنَّه صار إلى قدره، قَيْد الإقامة الجَبْرِيَّة، وأنَّ السُّلطان ما قَبِل شفاعة الباشا، وسوف ينتهي أمره إلى إسطنبول، ويلقى مصيره المحتوم.

ويبدو أنَّ هذه الهواجس التي سَاوَرَتْهُ انتقلت إلى الباشا بطريقةٍ أو بأُخرى؛ ولذلك ففي (مُنتصف صفر ١٢٣٨هـ/ أوَّل نوفمبر ١٨٢٢م) استدعاه خليل بك إلى بني سويف حتَّى يكون مُقيمًا قُرْبه، وأنزله في قصر مُقام على النيل، وقد صادف مع قدومه أنَّ إبراهيم باشا كان مُتَّجِهًا إلى الصعيد، فنزل في القصر واجتمعا معًا[٤]، ورُغْم ذلك ضاق

---

[٢] إسطفان ضو، **حَديقة الجنان في تاريخ لبنان**، ج. ٢ (لبنان: المطبعة الجامعة، ط ١، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م): ٢١٠.

[٣] بولس قرألي، «رحلة الأمير بشير الثَّانية إلى مصر» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٣، ج. ٢، فبراير (شباط) ١٩٢٨م): ١١٤.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٢٨.

[٥] **المصدر السَّابق**: ٧٣٠–٧٣١.

الأمير ذرعًا، وتجلَّى هذا في خطابه الذي رفعه إلى الكَتْخُدَا في أعقاب قدومه إلى بني سويف بأيَّام، فقد قام بمُكاتبته في (٢٠ صفر/ ٦ نوفمبر)، ليُبلغه عن رَغْبته الحضور إلى القاهرة، فجاء الجواب يخبره أنَّ الباشا ما يزال في الإسكندريَّة، وسيعود بعد أيَّام ويلتقي الأمير، ويتم له كُلّ ما يحتاجه حَسْب مرغوبه(١).

والحقيقة أنَّ تأخُّر مُحمَّد علي في العودة إلى القاهرة للاجتماع بالأمير، لم يكن عن عمدٍ أو بتدبيرٍ منه، بل لظروفٍ طارئة خارجة عن إرادته؛ حيث إنَّ الوقت الذي وصل فيه الأمير بشير إلى مصر كان مُزْخَمًا بالحوادث الجِسَام التي استلزمت تواجده في الإسكندريَّة لمُدَّة طويلة؛ نتيجة اندلاع ثورة اليونان ضد السيادة العثمانيَّة عام (١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م)، و بناءً على أمر السُّلطان محمود الثاني أرسل الباشا بعض القطع البحريَّة إلى المورة وجزيرة كريت؛ لوأد ثورتهم في مهدها(٢)، وقعد في الإسكندريَّة يترقَّب الأمر كُلَّما أقبل صباح وأدبر مساء، يُطَالع كافَّة الأخبار الواقعة في شرقي المتوسط وجزره من ثورات اليونان، وقيام القوات العثمانية بمحاصرة عكا، وفي التَّوقيت ذاته كانت القوات المصريَّة تُقاتل في السُّودان، وتعرَّض ابنه إسماعيل باشا للاغتيال نتيجة مؤامرة حيكت ضده وكِبار قادة جيشه(٣).

ومهما يكن الأمر، فقد عَاد مُحمَّد علي إلى القاهرة، وفي (غُرَّة ربيع الآخر ١٢٣٨هـ/ ١٦ ديسمبر ١٨٢٢م) أصدر أوامره بإحضار الأمير بشير إلى القاهرة،

---

(٢) طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٥؛ إسطفان ضو، **حَديقة الجنان في تاريخ لبنان**، ج. ٢: ٢١١.

(٣) عبد الرَّحمن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار**، ج. ٤: ٤٩٥–٤٩٦؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦؛ عبد الرَّحمن زكي، **التَّاريخ الحربي لعصر مُحمَّد علي باشا** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م): ١٧٧–١٨١؛ زينب عصمت راشد، **كريت تحت الحُكْم المصري ١٨٣٠–١٨٤٠م** (القاهرة: الجمعيَّة المصريَّة للدِّراسات التَّاريخيَّة، ط ١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م): ٨٥ وما بعدها.

(٤) أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣٠٦.

فوصلها في (٦ ربيع الآخر/ ٢١ ديسمبر)، وأُنْزِلَ في قصرٍ في محلَّة أثر النَّبي التي تبعد عن القاهرة نحو ساعة ونصف، في صحبة أولاده وجُزءٍ من أتباعه[١]، وأُهْدِي إليه خمسة من الخيل المزينة، ثُمَّ اتَّجه لمُقابلة الكَتْخُدَا في القلعة، وجاء أمرٌ بتوجُّه الأمير إلى قصر شُبْرا، فخرج الأمير وأبناؤه يصحبهم حنَّا البحريّ، فاستقبله الباشا «بكُلّ بشاشة وقبول وأمر له في الجُلوس على كُرسي جَانب التَّخْت الذي جلس عليه»، وبعدها انْصَرَفَ الجميع، فاخْتَلَىَ الباشا والأمير، وأوضح له أسباب لُجوئه إليه، ورَفْضه الدُّخول في تبعيةِ والي الشَّام؛ لأنَّه خادم لوالي صيدا، وأضاف أنَّه تجنَّب مُحاربة جُنود الدَّوْلة رغم قدرته عليهم، فقال الباشا: «هكذا تكون أصْحَاب المُرُوَّة، أن يَخْدِموا ولاة أُمُورهم حتَّى الدَّم»، وتعمَّد مُحمَّد علي في إظهار مَدى إعجابه بالأمير، فقال: «إنَّني بكُلّ زَمَاني ما طَلَبْت من الحقِّ سُبْحانه طِلْبَة إلَّا واسْتَجاب دَعْوتي، وقد طَلَبْتُ أنِّي أراك... وقد رأيتك يا أمير بخيرٍ»، وتعجَّب جميع مَن حَضَرَ من اللُّطف الزَّائد الذي أبداه الباشا للأمير، وقبل انصرافه، طلب منه أن يحضر إليه كُلّ يوم، وأخبره أنَّه سوف يتمّ له مُراده[٢].

كانت هذه طبيعة اللّقاء الأوَّل بين الأمير والباشا، ومن الوهْلة الأُولى نلحظ أنَّ مُحمَّد علي أظهر اهتمامًا واضِحًا بالأمير، وأنزله منزلته، وأبدى له من عبارات الودّ والأفعال ما يطمئن به خاطره، ومن ناحية الأمير، فلا ريب أنَّ اللقاء أدَّى إلى زوال هواجس الأمير التي جاشت في صدره وكانت تؤرّقه، وخابت ظُنُونه التي صاحبته طوال المُدَّة التي قضاها في الفَشْن وبني سويف، وبان له أنَّ الباشا كان مشغولًا في بعض القضايا العارضة التي استلزمت تواجده في الإسكندرية مُدَّة طويلة.

وقد سَمَحَ الباشا للأمير بالتَّنقل بكامل حريته في القاهرة، ولم يعد الأمير مُطالبًا بإخفاء شخصيته، كما كان الحال من قبل؛ ولذلك فقد ذهب في زيارات عدَّة، فقام بزيارة

---

[٢] رسالة من الأب أنطون مارون إلى الأب أغناطيوس سركيس الرئيس العام، بتاريخ (غُرَّة شُبَاط [فبراير] ١٨٢٣م، الموافق ١٩ جمادى الأولى ١٢٣٨هـ). منشورة في: بُطرس ساره اللُّبناني، وثائق أُنف (بيروت: **مجلَّة المَشْرق**، س. ٥٣، ع. ٣، أيَّار [مايو] – حَزِيرَان [يونية] ١٩٥٩م): ٣٧٦؛ فهد بُطْرس، **تاريخ الرَّهْبانيَّة اللُّبنانيَّة**، ج. ٦: ١٨٢–١٨٣.

[٣] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٣–٧٣٥.

إبراهيم باشا في قصره بالمنيل، والكَتْخُدا محمود بك عزت الأرناؤودي في القلعة، كما أنَّه تبع جنازة إسماعيل باشا بن مُحمَّد علي، حتَّى دُفِنَ في حوش الباشا بالشَّافعي، وبعدها نزل الباشا ومَن معه على الأمير في أثر النَّبي، فعزَّاه وطيب خاطره في مصابه، ثم انصرف الباشا إلى شُبْرا[١].

ونتيجة طول المسافة بين قصر شُبْرا وأثر النَّبي، ورغبة الباشا في لقاء الأمير بشكلٍ يوميّ؛ فقد أعدَّ له قصرًا ولأبنائه وحاشيته؛ حتَّى يكون على مقربة منه، لكِنَّ الأمير فضَّل أن يكون في قصره بأثر النبي؛ لأنَّه قريب من الخلاء، فيخرج للتَّنَزُّه فيه، وقد ذكر ذلك أحد رجال الدين المارُون بالقاهرة – حينئذ – بقوله: «ولفوا [أعدّوا] له محلّ داخل المدينة بكاملِ طقمهِ وفرشه له ولكامل حَوْسَته [حاشيته]، ولكِنَّ سعادة الأمير لم قبل؛ لأنَّه في الأثر أفرج عليه لأجل نُزْهة الخَلاء»[٢].

وتقديرًا من الباشا ورغبة في إظهار احتفائه بالأمير، عَقَدَ الدِّيوان في القلعة في يوم الجمعة (١١ ربيع الآخر/ ٢٦ ديسمبر)، وقد حَضَرَه كِبار العلماء، والقاضي، ونقيب الأشراف، وكِبار العسكريين، وأمر الباشا بإحضار الأمير بشير، فلمَّا جاء التقاه بالتَّرحيب أمام الحاضرين، وعرَّفهم به، وأثنى عليه، وقصَّ عليهم أسباب قدومه إليه، ولمَّا انفضَّ الدِّيوان، اجتمع الباشا بالأمير نحو ساعتين[٣]، وفي اليوم التَّالي اجتمعا بالقلعة، وأخبره الباشا أنَّه رفع الرَّسائل إلى السُّلطان للتَّشفع فيه وفي عبد الله باشا للعفو عنهما[٤].

وفي (١٨ ربيع الآخر ١٢٣٨هـ/ ٢ يناير ١٨٢٣م) أبلغ مُحمَّد علي الأمير بشير بضرورة إرسال أحد من طرفه إلى عبد الله باشا، والي صيدا، يُعْلمه أنَّه رَفَعَ الرَّسائل إلى

---

[٢] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٥–٤٢٦.

[٣] رسالة من القس أرسانيوس قرداحي (١٤ شباط [فبراير] ١٨٢٣م، الموافق جُمادى الأخرة ١٢٣٨هـ)، منشورة في: بُطْرس خويري، **تاريخ الرِّسالة المارُونيَّة في القُطْر المصري ١٧٤٥–١٩٢٧م** (القاهرة: مطبعة يوسف كوى، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م): ١١٣–١١٤؛ لحد خاطر، **بين أمير وراهب** (لبنان: د. ن، ط ١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م): ١٢٠.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٥–٧٣٦.

[٥] مخائيل مشاقة، **حوادث سوريا ولبنان**: ٨٥.

السُّلطان، ليتشفَّع فيه ليعفو عنه ويبقيه على ولايته، ونبَّه الباشا عليه بالثَّبات والصُّمود ضد الحصار المضروب عليه في عكا؛ حتَّى يأتي الرَّد من إسطنبول، وقد أرسل الأمير إلى كِبار رِجال جبل لبنان والشَّام، يُعلمهم بهذه الأنباء المُهِمَّة(١).

ويرى بعض الباحثين أنَّ مُحمَّد علي كان يرمي من وراء التَّشفُّع في عبد الله باشا تحقيق أحد أمرين، ففي حالة الاستجابة تعظم هيبته في الشَّام، وتجعل له يدًا للتَّدخُّل في شُئونها، وفي حالة الرَّفض سوف تكون فرصة سانحة إلى الزَّحف بقواته إلى الشام لتنفيذ ما يريده، ويضمّ الشَّام إلى ولايته، ورأى الأمير بشير خير حليف في هذه المُهِمَّة(٢)، وهذا الرأي له ما يُؤيِّده، وبخاصَّة أنَّ الباشا اتَّخذ خطوات فعلية لتنفيذ مراده في حالة الرَّفض، ففي تلك الفترة قَدِمَ إلى مُحمَّد علي مندوب عبد الله باشا؛ فأرجعه إلى سيِّده وأمره أن يُخْبره أنَّه في خلال أربعين يومًا لو لم يأتِ العفو عنه وبقاؤه في ولايته؛ فسوف يُحَرِّك إليه عساكره من مصر؛ ليرفع الحِصَار المضروب عليه، كما أرسل له سفينتين مُحَمَّلتين بالمؤن والذخيرة إلى عكا(٣).

ولا ريب أنَّ إقدام الباشا على إرسال المُساعدات كي يَشُدَّ من عَضُده للتَّحَصُّن في عكا، ولا يَسْتَسْلم لمحاصريه مَهْمَا بلغ الأمر، وقد تنبَّه مصطفى باشا – والي حلب المحاصر عكا – إلى إقبال السُّفن من مصر، وكان مُسْتاءً من طُول مُدَّة الحِصَار التي امتدَّت حتَّى قُدُوم الشتاء، ومُتكدِّرًا من سوء الأوضاع(٤)، فَكَتَبَ إلى مُحمَّد علي يُعْلمه بأمر السُّفن، ونلحظ أنَّه لم يقدر على الإشارة ولو بطَرْفٍ خَفِي أنَّها آتية من الباشا، بل أرجعها إلى تَراخي أُمناء الجمارك في الإسكندريَّة ودِمياط، وأضاف أنَّ وصولها سوف يُطيل مُدَّة الحِصار، والتمس منه بُمتابعةِ الأمر لمنع السُّفن التي تصل إلى عكا(٥)، وكان

---

(٢) **الأرشيف العثماني، HAT. 385/ 20643B** مُحمَّد علي إلى الباب العالي بتاريخ (٢١ رمضان ١٢٣٨هـ/ ٣١ مايو ١٨٢٣م)، وينظر ملحق رقم (٥)؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٦؛ إسطفان ضو، **حَديقة الجنان في تاريخ لبنان**، ج. ٢: ٢١٣.

(٣) بولس قرألي، «رحلة الأمير بشير الثَّانية إلى مصر»: ١١٨ حاشية (٢).

(٤) حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٦.

(٥) ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان**: ٤٥، ٩٦–٩٧.

(٦) **بحر برا**، محفظة (٨)، رَقْم ٩٤، رسالةٌ من مصطفى باشا إلى مُحمَّد علي باشا، بتاريخ (ربيع الآخر ١٢٣٨هـ/ يناير ١٨٢٣م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، مج. ١: ٤٥–٤٦.

جواب الباشا ينفي خُروج أيَّة مُساعدات للمذكور، وأضاف أنَّه أعطى التَّعليمات بعدم خروج أيّ شيء إلى عكا[١].

وبدأت بوادر الانفراج بعزل مُحمَّد درويش باشا من ولاية الشَّام[٢]، ثم جاء العفو عن عبد الله باشا على أن يخرج من عكا بماله وأهله ويتَّجه إلى مصر بأمان، وقد غضب الباشا من عدم قبول شفاعته؛ فأرسل إلى الباب العالي ليقبل شفاعته بالعفو عن عبد الله باشا وبقائه مُقيمًا على رأس ولايته؛ حتَّى لا يكون ذلك مدعاة إلى خروجه عن الطَّاعة[٣]؛ ولذلك ففي (١٩ رجب/ أوَّل أبريل) أرسل الصَّدر الأعظم يُعْلمه بالعفو عن عبد الله وبقائه في ولاية صيدا[٤]، فقام الباشا وأرسل إلى الأمير يعلمه بفرمان العفو، وقال له: «إنَّه لأجلِ حُسْن نيَّتك تَسَهَّلَت هذه الأمور، وارْتَحنا من المَتاعب... وهذا التَّعَب والمُرَاجَعَات إلى الدَّوْلة لأجل خَاطرك فقط لا لأجل عبد الله باشا»[٥].

هذا، ونلحظ أنَّ طريقة الباشا احتدَّت ألفاظها في الرَّسائل التي رفعها إلى الباب العالي، إذا قورنت بسابقتها في الشَّفاعة في يوسف كَنْج ومُحمَّد أبو نبُّوت، ويرجع ذلك إلى غضبه بسبب تأخُّر مطلبه، ومن ناحية أخرى فلا ريب أنَّ السُّلطان اضطر إلى الرُّضَوخَ إلى طلبه مُحاولة لإرضائه؛ نظرًا لاستفحال ثورة اليونان، وعلمه أنَّ مُحمَّد علي هو الوحيد الذي باستطاعته القضاء عليها، وكان الباشا يدرك ذلك جيدًا.

وقام مُحمَّد علي بإرسال مُكاتبة إلى عبد الله باشا يُعلمه بقرار العفو وبقائه على ولايته، وأنَّه وجب عليه دفع خمسة وعشرين ألف كيس، وأنَّ الباشا أمر وكيله بدفع عشرة

---

[٢] مُكاتبتان من مُحمَّد علي إلى مصطفى باشا (غاية ربيع الآخر، ٧ رجب ١٢٣٨هـ/ ١٣ يناير، ٢٠ مارس ١٨٢٣م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٧٨–٧٩؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣٠٥.

[٣] حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد**: ١٧٩؛ مخائيل مشاقَّة، **حوادث سوريا ولبنان**: ٨٧.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٧؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٦.

[٥] **بحر برا**، محفظة (٨)، رَقْم ١١٦، رسالةٌ من علي باشا الصَّدر الأعظم إلى مُحمَّد علي باشا، بتاريخ (١٩ رجب ١٢٣٨هـ/ أوَّل أبريل ١٨٢٣م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصريَّة**، مج. ١: ٤٧؛ أحمد جودت، **تاريخ جودت**، مج ١٢: ٧٤–٧٥.

[٦] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٧–٧٣٨.

آلاف كيس للدَّوْلة، على أن يقوم عبد الله باشا بدفع الخمسة عشر الأخرى، بالإضافة إلى ألف كيسه لمصطفى باشا ليصرفها للعساكر[١]، وأرسل الباشا إلى مصطفى باشا يعلمه بصدور العفو عن عبد الله باشا وبقائه في ولايته، ويأمره برفع الحصار عن عكا[٢].

وقد أحضر الباشا العلماء وكبار رجال دولته، وقرأ عليهم ثلاثة فرمانات سُلطانيَّة، أوَّلها بالعفو عن عبد الله باشا ومسيره إلى مصر، وثانيها بالعفو عنه وإبقائه في ولايته، والثَّالث بتعيينه على ولاية صيدا، بعد أن انسلخ عنها: غزَّة، ويافا وأُضيفتا إلى ولاية الشَّام[٣]. ولا شك أنَّ الباشا كان يبغي من وراء هذا الجمع إظهار المكانة الكبرى التي صار يتمتع بها لدى السُّلطان، ومدى نفوذه في استصدار الفرمانات في قبول شفاعته مع بقاء المذكورين على رأس ولايتهم.

وصدرت الأوامر من مُحمَّد علي إلى الأمير بشير أن يستعدّ للسَّفر إلى عكا، وأغدق عليه وأولاده بالهدايا القيِّمة، وأرسل معه سلحداره سليمان آغا، وتوجَّه الجميع إلى الإسكندريَّة، حيث أُعِدَّت ثلاث سفن مصريَّة للأمير وحاشيته، وفي (١١ شعبان ١٢٣٨هـ/ ٢٣ أبريل ١٨٢٣م) أبحرت السُّفن نحو عكا، ووصلتها بعد سبعة أيَّام، واستقبلهم عبد الله باشا بإطلاق المدفعيَّة، وعقب طلوعهم المدينة، عقد لهم احتفالًا عظيمًا، وبعد أن اجتمع بالأمير عدَّة أيَّام وجَّهه إلى مقرّ إمارته في الجبل[٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ بعض المؤرّخين أكَّد على أنَّ مُحمَّد علي أطلع الأمير بشير على رغبته في غزو الشَّام وتملُّكه بقوَّة السَّيف، وتفاوض معه على ضمّها إلى

---

[٢] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رَقْم ٢٧، رسالةٌ من مُحمَّد علي باشا إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٢١ رجب ١٢٣٨هـ/ ٣ أبريل ١٨٢٣م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصريَّة**، مج. ١: ٤٧؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٨٠–٨١؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣٠٧.

[٣] **بحر برا**، محفظة (٨)، رَقْم ١١٩، رسالةٌ من مُحمَّد علي باشا إلى مصطفى باشا، بتاريخ (٢٨ رجب ١٢٣٨هـ/ ١٠ أبريل ١٨٢٣م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصريَّة**، مج. ١: ٤٨–٤٩؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٨٠. ويُنْظَرُ: حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد**: ١٨٠.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٨–٧٣٩.

[٥] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان**، ج. ٢: ٤٢٦؛ أسد رُسْتم، **بشير بين السُّلطان والعَزِيز**: ٣٩.

ولايته، وأسرَّ له بجميع ما يريده من خدماتٍ عند الحاجة، وأنَّ الأمير بشير قد أقسم أن يخدمه ويكون في طاعته ومن بعده أولاده[١]، وعند عودة الأمير من القاهرة إلى ولايته ودَّعه الباشا، وقال: «سنلتقي مرَّة أُخْرى... وسيكون لقاؤنا في سورية»[٢].

وهذا الرَّأي لا يمكن قبوله على علَّته، فعلى الرَّغم من احتوائه جزءًا من الحقيقة؛ فإنَّ فيه بعض الغُلُوُّ والمُبالغة، وبخاصَّة فيما يتعلَّق بالاتفاق على غزو الشَّام؛ لأنَّ مُحمَّد علي رغم ثقته في الأمير بشير، فإنَّه لم يكن بالسَّذاجة حتَّى يُطْلعه على مشاريعه، وهو المشهور بشدَّة حرصه وحذره، كما أنَّ فكرة استخدام القوَّة العسكريَّة لضم الشَّام، لم تكن قد تبلورت لدى الباشا؛ لأنَّ عَلاقته كانت جيِّدة بالسُّلطان حتَّى ذلك الزَّمان، كما أنَّ هذا الرَّأي لم يتطرَّق إليه الأمير حَيْدر الشِّهابي الذي كان مُصاحبًا للأمير في مصر وشاهدَ عيانٍ على كافَّة الاجتماعات بين الباشا والأمير.

ما الفائدة التي عادت على مُحمَّد علي من هذه مسألة اللُّجوء والشفاعة، التي استعرقت منه وقتًا طويلة، وأنفق فيها أموالًا كثيرة في الهدايا التي منحها إلى الصدر الأعظم، وكَتْخُدَاه (وكيله)، وبعض الدَّوائر في إسطنبول[٣]، بالإضافة إلى سداده عشرة ألف كيسه من الغرامة المُقرَّرة على عبد الله باشا للمسارعة في استخراج فرمان العفو عنه، وتوسَّط له عند الدَّوْلة حتَّى أعادت له مدن يافا وغزَّة والرَّملة لتبعية ولاية صيدا[٤].

---

[٢] رُسْتم باز، **مُذكرات رُسْتم باز**، حقَّق نصَّها ونشرها مع مُقدِّمةٍ وحواشٍ وفهارس: فؤاد إفرام البُسْتانيُّ (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة، قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رَقْم «١»، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م): ٢٣؛ ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان:** ٩٨؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٦؛ إسطفان ضو، **حَديقة الجنان في تاريخ لبنان**، ج. ٢: ٢١٣.

[٣] إميل خوري وعادل إسماعيل، **السِّياسة الدُّوليَّة في الشَّرق العربي**، ج. ٢ (بيروت: مطبعة صادر، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م): ٥٩.

[٤] **بحر برا**، محفظة (٨)، رَقْم ١٢٩، من مُحمَّد نجيب أفندي إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (٢٧ رمضان ١٢٣٨هـ/ ٦ يونية ١٨٢٣م)، نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، مج. ١: ٥٦؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٨٢؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣٠٧.

[٥] **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٨١، ٩٠، ٩٨.

والحقيقة أنَّ الباشا ما كان لينفق بهذا السَّخاء، ويجعلُ هذا الأمر يشغل باله ووقته إلَّا إذا كان سَيَجْنِي من وَرائه أضعافًا كثيرةً، التي يمكن أن نجملها في أنَّ أعدَّ ذلك أول خطوة لطريقه إلى الشَّام، بإيجاد قادة على رأس الولاية، أعني بشير الشهابي، وعبد الله باشا، وقد أغدق عليهم بشفاعته فيهم والعفو عنهم؛ فصار في رسائله لهم يخاطبهم وكأنَّهم تابعين له، وهم من ناحيتهم أظهروا في رسائلهم خضوعهم وتبعيتهم.

ولعلَّ أهم ما استفاد مُحمَّد علي أنَّه أصبح لديه القدرة على مُطالبتهم ببعض الخدمات، وذلك بإمداد الباشا بالمُقاتلين اللُّبنانيين الذين اشتهروا بشدَّة بأسهم[١]؛ أي أنَّه صار بينهما اتفاقٌ بمثابة تعاونٍ عسكريٍّ[٢]، وذلك كان واضحًا في بعض اللقاءات بينهما، فعندما اجتمع الديوان في القلعة – كما تمَّت الإشارة – أخبر مُحمَّد علي الحاضرين أنَّ الأمير تحت يده عشائر تجمع مائة ألف مُقاتل[٣]، وفي لقاء آخر سأله الباشا عن القوَّات التي يُمكن أن يُجنِّدها، فأخبره أنَّ باستطاعته جمع عشرة آلاف مُقاتل[٤].

وبعد عودة الأمير إلى لبنان أرسل له الباشا خطابًا في (٩ رجب ١٢٣٩هـ/ ١٠ مارس ١٨٢٤م) يطلب منه أن يفي بوعده في تجنيد عشرة آلاف مُقاتل للمشاركة في إخماد ثورة اليونان[٥]، وأرسل الأمير ابنه إلى القاهرة ليعلمه أنَّ القوَّات صارت مُسْتعدّة، فلمَّا اطمئن الباشا لحسن جوابه قال له: أخبر والدك أنَّنا لسنا في حاجة لها الوقت الحالي؛ لاكتمال العساكر من مصر[٦]، وكان الباشا يَوَدُّ الاطمئنان إلى صَدَاقة الأمير وصِدْق

---

[٢] إسماعيل حقّي، **لُبْنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، ج. ١ (بيروت: المطبعة الأدبيَّة، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م): ٢٠٦–٢٠٧؛ ياسين سويد، **موسوعة تاريخ لُبنان السياسيّ والعسكريّ ج. ٢، الإمارة الشهابيَّة ١٦٩٧–١٨٤٢م** (بيروت: دارُ نوبليس، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م): ٣٠٧–٣١١.

[٣] مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات بين مصر ولبنان**: ٢٧٩.

[٤] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٣٦.

[٥] أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣١٣.

[٦] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رَقْم ٣٢٤، رسالة من مُحمَّد علي باشا إلى الأمير بشير، بتاريخ (٩ رجب ١٢٣٩هـ/ ١٠ مارس ١٨٢٤م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، مج. ١: ٦٠.

[٧] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**: ٧٥١–٧٥٢، ٧٥٤؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٢٩–٤٣٠.

مَحَبَّته، على أن تكون الاستعانة بما لديه من قوَّات في حُروب لاحقةٍ[١] يُحَقِّق بها تطلُّعاته وتخدم توسُّعاته.

ومِمَّا استفاد منه مُحمَّد علي – أيضًا – أنَّه أصبح لديه القدرة على التدخُّل في شئون الشَّام دون انتظار إذن من السُّلطان، وأراد أن يُحَرِّك بعض قوَّاته العسكريَّة لمساعدة الأمير بشير، فقد وقعت الحرب بين الأمير بشير الشهابي والشيخ بشير جنبلاط زعيم الدُّروز عام (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م)؛ وترامت الأخبار إلى الباشا فأمر بتجهيز القوَّات وإرسالها إلى لبنان، وأرسل إلى الأمير يُعْلمه بذلك[٢]، كما أرسل إلى عبد الله باشا يخبره بتجهيز قوَّة من ستة آلاف، وعقب انتصار الأمير بشير، والقبض على خصومه، قام كلاهما بمُراسلة الباشا يزف إليه بُشرى النَّصر، وعدم الحاجة لإرسال قوات عسكريَّة من مصر[٣]، ويبدو أنَّ عبد الله باشا لم يرد أن يقذف الباشا بقوَّاته إلى الشام في أتُون هذا الصراع؛ خشية من بقائها وعدم خروجها في أعقابه، وهذا ما يتضح من تبرير الباشا[٤]، ولكِنَّه في الوقت ذاته أرسل إليه يأمره بإعدام الشَّيخ بشير جنبلاط المسجون في عكا[٥]؛ ليصبح الأمير بشير المُتَصَرِّف الوحيد في جبل لبنان دُون مُنازع.

---

[٢] مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات بين مصر ولبنان:** ٢٧٧؛ إميل خوري وعادل إسماعيل، **السِّياسة الدُّوليَّة في الشَّرق العربي**، ج ٢: ٥٩–٦٠.

[٣] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٦٤–٧٦٥، ٧٦٩–٧٧٠؛ طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٣٣، ٤٣٥.

[٤] **معية تركي**، دفتر (٢٢)، رَقْم ٤٠، رسالة من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٤ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ/ ٢٣ يناير ١٨٢٥م)؛ الدفتر نفسه، رَقْم ٤٧، رسالة من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (١٩ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ/ ٧ فبراير ١٨٢٥م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصريَّة**، مج. ١: ٦٤–٦٥؛ حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الشهابيين:** ٧٧١.

[٥] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (١٧ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ/ ٥ فبراير ١٨٢٥م)، **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٤٢؛ مؤلف مجهول، **تاريخ الأُمراء الشهابيين**، نَظَر فيها ونقَّحها ووَضَع فهارسها: سليم حسن هشي (بيروت: دارُ لحد خاطر، ط ٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م): ١٩٩–٢٠٠.

[٦] حيدر أحمد الشِّهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٧٧.

خامسًا– لجوء مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م)

كان مصطفى آغا بَرْبَر[١] حاكم طرابلس آخر اللاجئين إلى مُحمَّد علي، وترجع ظروف لجوئه إلى عزله من طرابلس عام (١٢٣٧/ ١٨٢٢م) من قِبَل مُحمَّد درويش باشا والي الشام، ومن بعدها ظلَّ مُقيمًا في بيروت، وقد تقلَّب على طرابلس عدَّة مُتسلِّمين، حتى أُسْندت طرابلس إلى **علي باشا الأسعد المُرعبي**[٢]، وقد كان بينه وبين مصطفى بَرْبَر عداوة قديمة[٣]، وكان يرى أنَّه المُتَسَبِّب في إثارة الفتن على الولاة السَّابقين والمتسبب

---

[٢] **مصطفى آغا بَرْبَرْ**: مصطفى آغا ابن حسن بَرْبَرْ زادة القرقي، وُلِدَ في الكورة جنوبي طرابلس، نحو عام (١١٨٠هـ/ ١٧٦٧م)، وينحدر من أسرة طرابلسية تُسَمَّى: القرق، ولمَّا يَفَع تقلَّب في بعض المهن حتَّى دخل في خدمة أحمد باشا الجزار، ونال ثقته، وقد وُلّي طرابلس أربع مرَّات في الفترة الواقعة بين عامي (١٢١٤–١٢٤٩هـ/ ١٨٠٠–١٨٣٤م)، الأُولى من الجزار باشا، والثَّانية من سليمان باشا، والثَّالثة من عبد الله باشا، والرَّابعة من مُحمَّد علي بعد ضمّ الشام إليه، ويُعَدُّ أشهر ولاتها على الإطلاق في القرن (١٣هـ/ ١٩م)، قام خلال ولايته الثَّانية بإنشاء قلعة في بلدة إيعال، عُرفت بقلعة مصطفى بربر، وأنشأ سراي بربر في طرابلس، وعمل على تميم قلعة طرابلس وإصلاح ما تهدَّم منها، وقد عُزِلَ من طرابلس (٢٩ جُمادى الأولى ١٢٤٩هـ/ ١٣ أكتوبر ١٨٣٣م) نتيجة عدم التزامه بتعليمات الإدارة المصريَّة، وقد توفي عام (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م). يُنظَرُ: أنطونيوس أبي خطار العَيْنطُورِيني، **مُختصر تاريخ جبل لبنان**، نشره لأوَّل مرَّة مع دَرْس وتعاليق: أغناطيوس طنوس الخُوري (بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة، ط ١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م): ٧١–٧٣؛ كارين صادر، «مصطفى آغا بَرْبَر وقفزة من الحَفاء إلى الحُكم» (دِمشق: **مجلَّة المعرفة**، وزارة الثقافة السوريَّة، س ٤٥، ع. ٥١٩، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ كانون الأوَّل ٢٠٠٦م): ٢٤٢–٢٥٢.

[٣] **علي باشا الأسعد المُرْعَبي**: علي بن أسعد بن شديد المُرْعَبي، وُلِدَ في النصف الثاني من القرن (١٢هـ/ ١٨م)، تولَّى بعض المناصب الإدارة، وكان في صراع مستمر مع مصطفى آغا بَرْبَرْ، وأسند إليه حكم طرابلس عام (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤هـ/ وعُزِل عام (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م)، توفي أواخر عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م)، يُنْظَرُ: حسين سلمان سليمان، «علي باشا الأسعد المُرْعَبِيُّ ودوره في تاريخ ولاية طرابلس الشَّام» (بيروت: **مجلةٌ تاريخ العرب والعالم**، س. ١٥، ع. ١٥٥، مُحرَّم ١٤١٦هـ/ حزيران ١٩٩٥م): ٢١–٣٧.

[٤] خالد مصطفى مُرعب، **الإمارة المُرْعَبِيَّة: امتدادها الجُغرافي وتطوُّرها السياسي حتَّى سنة ١٨٤٠م**، ج. ١، أشرف عليه وكتب بعض أبحاث: فاروق حبلص (طرابلس: دار البُخاري، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م): ١٨٩–٢١١.طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ١٠٧، ١٠٨.

في قتلهم، فخشي إن ظلَّ المذكور في بيروت يُسبِّب له المتاعب في طرابلس؛ وعندئذٍ نجح في استصدار أمر من الباب العالي بإعدام بَرْبَرْ آغا، وضبط أمواله وأملاكه[١].

وقد قام عبد الله باشا بالقبض عليه، وسجنه في عكا، وقد امتدح مُحمَّد علي هذا الأمر؛ حتَّى لا يؤدي بقاء بَرْبَر آغا في بيروت على مقربة من طرابلس إلى إثارة الفتن، وقد صدر بعدها أمر من الباب العالي بسجن المذكور في قلعة حلب[٢].

ويبدو أنَّ بَرْبَر آغا تواصل مع الأمير بشير، فقد كانت تجمعهما عَلاقات وطيدة، وطلب منه التَّوسُّط له عند مُحمَّد علي[٣]، فأسرع الأمير بشير برفع رسالة إلى الباشا يرجوه التَّشفُّع في مصطفى آغا بَرْبَر عند الباب العالي، لأنَّه مُتَيقن من براءته، مِمَّا نُسِبَ إليه من إثارة الفتن في طرابلس، فأجابه الباشا بأنَّ ما فعله المذكور لن يزول بسهولة، وأمره بضرورة امتناعه عن التَّدخُّل في شئون طرابلس حتَّى ينال العفو السُّلطاني، وأضاف أنَّه أرسل إلى عبد الله باشا يطلب المساعدة في الموافقة على إقامة مصطفى آغا بَرْبَر لدى الأمير بشير بناءً على رغبته[٤].

لا شك أنَّ مُحمَّد علي رأى في الأمر فرصة سانحة للتَّدخُّل في شئون الشام، فقام بمُخاطبة عبد الله باشا في الأمر، وذكر له أنَّ الأمير بشير أخبره أنَّ مصطفى آغا

---

[٢] جُرجي يني، **تاريخ سوريا** (بيروت: المطبعة الأدبيَّة، ط ١، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م): ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩.

[٣] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رَقْم ٥٣٢، رسالةٌ من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٥ صفر ١٢٤٠هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٢٢٤م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٢؛ مكاتبة من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٢٣ صفر ١٢٤٠هـ/ ١٦ سبتمبر ١٢٢٤م)، **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ٦٤.

[٤] حكمت بك شريف، **تاريخ طرابلس الشَّام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيَّام**، حَقَّقه وعَلَّق حَواشِيه وفَهَارِسه وقدَّم لهُ: مُنى حدَّاد يكن، مارُون عيسى الخُوري (طرابلس: دارُ حكمت شريف ودار الإيمان، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ١٤٧.

[٥] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رَقْم ٥٤٣، مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى الأمير بشير، بتاريخ (٢٣ صفر ١٢٤٠هـ/ ١٦ أكتوبر ١٨٢٤م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٣؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٣٣–١٣٤.

بَرْبَر مُحِبٌّ لهما، وكثيرًا ما أظهر الصَّداقة والخدمة، وأضاف أنَّه سوف يرفع إلى الباب العالي التماسًا للشَّفاعة فيه، وطلب منه أن يُقِيم بَرْبَر آغا لدى الأمير بشير، حتَّى إنْ خالف ذلك أمر الدَّوْلة، لحين قدوم الجواب من الدَّوْلة[١].

ومن ناحية أخرى قام الباشا بمكاتبة كَتْخُدَاه مُحمَّد نجيب أفندي في إستانبول، للعفو عن مصطفى بَرْبَر، فأخبره الكَتْخُدَا أنَّه أحضر كَتْخُدَا عبد الله باشا في إستانبول، واستفسر منه عن حقيقة الأمر؛ فأجابه أنَّ بَرْبَر آغا ليس له صلة بالاضطرابات الواقعة في طرابلس لا بيده ولا بلسانه، وأنَّه وَردته مُكاتبة من عبد الله باشا تؤكِّد هذا. فقام الباشا بمكاتبة كَتْخُدَاه يُعْلمه أنَّه أرسل إلى عبد الله باشا ليُصَرِّح بإقامة مصطفى آغا بَرْبَر عند الأمير بشير بناءً على طلبه، وأمره بالإسراع في الإجراءات اللازمة لحصول الموافقة على هذا الأمر من الباب العالي[٢].

واستجاب عبد الله باشا لِمَا طلبه مُحمَّد علي، وسمح بخروج مصطفى بَرْبَر إلى الأمير بشير[٣]؛ فأنزله في الشُّويفات (جنوبي بيروت بعشرة كيلو مترات، ولمَّا وقعت الحرب بين الأمير بشير الشهابي والشَّيخ بشير جنبلاط في (جمادى الأولى ١٢٤٠هـ/ يناير ١٨٢٥م) اتَّجه من فوره إلى بيت الدين، واشترك معه في القتال، وسانده ضد أعدائه حتَّى انتصر عليهم، وشتَّت شملهم[٤].

---

[٢] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رقم ٥٤١، مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٢٣ صفر ١٢٤٠هـ/ ١٦ أكتوبر ١٨٢٤م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٣؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٣٤.

[٣] **معية تركي**، دفتر (١٤)، رقم ٥٦٦، مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى قُبُوكَتْخُدا مُحمَّد نجيب أفندي بتاريخ (٢٥ ربيع الأوَّل ١٢٤٠هـ/ ١٦ نوفمبر ١٨٢٤م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٣؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٣٤.

[٤] **الأرشيف العثماني**، ***HAT. 545/ 26952C*** من عبد الله باشا والي عكا إلى الباب العالي بتاريخ (٢٩ المُحرَّم ١٢٤٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨٢٤م). ويُنْظَرُ مُلحق رقم (٦).

[٥] طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٣٢، ٤٣٦؛ مخائيل مشاقة، **حوادث سوريا ولبنان**: ٩٢، ٩٤.

وفي أعقاب ذلك أُعِيدَ فتح مسألة بَرْبَر آغا في (شوَّال ١٢٤٠هـ/ يونية ١٨٢٥م)، فقد أرسل عبد الله باشا إلى مُحمَّد علي يعلمه بتكرار الشَّكاوى المرفوعة للدَّوْلة في حق مصطفى بَرْبَر، حيث صَدر أمرٌ آخر بقتله ومُصادرة أملاكه؛ ولذلك فإنَّه رَفَعَ إلى الباب العالي رسالة يُدْحض فيها ما قيل عن تورُّط بَرْبَر آغا في إثارة الفتن في طرابلس، وقد استحسن الباشا هذا الأمر منه وأثنى على رسالته التي رفعها للدَّوْلة، وأخبره أنَّه سوف يرفع إلى الدَّوْلة التماسًا للعفو عنه[١].

والواضح أنَّ مُحمَّد علي نجح في استصدار قرارٍ بالعفو عن مصطفى آغا بَرْبَر، ولذلك قام بَرْبَر آغا برفع رسالة إلى الباشا – ولعلَّ ذلك بإيعاز من الأمير بشير – يُبَيِّن فيها إخلاصه ويُبْدي طاعته، فقال: «وقد ذاع وملأَ البقاع بأنني من الأرقاء لدولتكم وعتق إحساناتكم.. والآن قد تجدَّد جبر انكسار خاطر عبدكم من تخوَّلته من تفوُّهَات النُّطق الآصفي الشَّريف بحقّ عبدكم»[٢]. ومن ناحيته سعى عبد الله باشا جاهدًا لاسترداد مُمتلكات الآغا في طرابلس، هذا إلى جانب بعض المحاولات التي بذلها بَرْبَر آغا نفسه، حيث أرسل أحد أتباعه إلى إسطنبول لنفس المسألة، ولكن الباب العالي رفض رفع الأمر عن مُصادرة أملاكه[٣].

---

[٢] **معية تركي**، دفتر (٢٢)، رقم ٩٧، مُكاتبةٌ من مُحمَّد علي إلى عبد الله باشا، بتاريخ (٢٤ شوَّال ١٢٤٠هـ/ ١٠ يونية ١٨٢٥م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٥؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٤٦.

[٣] **بحر برا**، محفظة (١٠)، رقم ٩٧، رسالةٌ من مصطفى آغا بَرْبَر إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (غُرَّة المُحرَّم ١٢٤١هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٢٥م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات المَلكِيَّة**، ج. ١: ٦٥؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٤٦.

[٤] أغناطيوس طنُّوس الخُوري، **مصطفى آغا بَرْبَر حاكم طرابلس وجبلة ولاذقِيَّة العرب ١٧٦٧–١٨٣٤م** (طرابلس: منشورات مجلَّة السَّنابل، ط ١، د. ت): ١٩٧–٢٠٦.

ظلَّ مصطفى آغا بَرْبَر مقيمًا في الشُّويفات على أمل أن يعود إلى ولاية طرابلس تارة أخرى، وقد تجدَّدت آماله، وفي عام (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م) بعد عزل علي باشا الأسعد وتعيينه على ولاية عَالِيه[١] Alanya في جنوبي الأناضول[٢]، فقام مصطفى بَرْبَر برفع رسالة إلى مُحمَّد علي في (ذي القعدة ١٢٤٢هـ/ مايو ١٨٢٧م) يشكره على هدية أرسلها له، وأخبره بتطوُّرات الأوضاع في الشَّام، ويبدو أنَّه كان هُناك اتصالٌ بين آغا بَرْبَر وحنَّا البحريّ؛ لأنَّ الأخير رفع هو الآخر إلى مُحمَّد علي يخبره بعزل علي باشا الأسْعد من طرابلس، وأبدى رغبته في حصول العفو التَّام عن مصطفى آغا بَرْبَر، رُبَّما رغبة في تعيينه على طرابلس، لكن الباشا كتب إليه يعتذر عن توسُّطه في هذا الأمر؛ لعدم مُناسبة الأوضاع التي كان يمرُّ بها[٣].

واضطر مصطفى آغا بَرْبَرْ عقب ذلك إلى اللُّجوء إلى مُحمَّد علي في مصر في عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م)، وأرجع أحد المؤرّخين لجوئَه إلى صدور أمر من السُّلطان بإرسال بَرْبَر آغا إلى إسطنبول[٤]، وهناك مَن يرجعه إلى إلغاء نظام الجيش الإنكشاريّ[٥]، وهذا الرَّأي يكمل سابقه؛ فقد كان بَرْبَرْ آغا من كِبار الإنكشارية في الشَّام، ولمَّا كان

---

[٢] عَالِيه: وتُعْرف عَلانِية، وعَلائِية، وألانيا، وهي بلدة تقع جنوب شرق الأناضول على ساحل البحر المتوسط، على مقربة من أنطاليا. علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة:** ٢٠٠.

[٣] طنُّوس الشِّدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢: ٤٣٩، ٥٢١؛ خالد مصطفى مُرعب، **الإمارة المُرعبيَّة**، ج. ١: ٢١٨.

[٤] أمرٌ من مُحمَّد علي إلى حبيب أفندي، بتاريخ (٧ ذو القعدة ١٢٤٢هـ/ أوَّل يونية ١٨٢٧م). **الأوامر والمكاتبات**، ج. ١: ١٨٠.

[٥] نوفل بن نعمة الله بن نوفل بن جرجس الطَّرابُلسي، **كشفُ اللثام عن مُحيَّا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشَّام منذ افتَتَحَتْهما الدَّوْلة العلِيَّة إلى أن امتازت مصر بالحكومة الوراثيَّة وانتظمت برّ الشَّام في التَّنظيمات الخيريَّة** (بيروت: **مخطوط** بمكتبة الجامعة الأمريكيَّة، محفوظ برقم «T١٧٦kA :٩٥٦»، نُسِخَ بتاريخ ١٣١٠هـ/ ١٨٩٠م): ٦٤٦–٦٤٧.

[٦] فاروق حبلص، **أبحاث في تاريخ ولاية طرابلس إبان الحكم العثماني من خلال الوثائق الرسميَّة العثمانيَّة** (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشَّرقيَّة، سلسلة نُصوص ودراسات بيروتيَّة، رقم «١٢٠»، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م): ١٩٨.

السُّلطان قد أصدر قرارًا بإلغائه والتَّخلُّص من أتباعه، فرُبَّما كان يُريد استقدامه إلى إسطنبول لقتله، ويمكن أن يُضاف إلى ذلك أنَّه في العام المذكور قام السُّلطان بإلحاق طرابلس إلى تبعية والي صيدا[١]، وهكذا سُدَّت السُّبل أمام مصطفى بَرْبَر في العودة إلى مقرِّه، فضلًا عن أنَّ مُحمَّد علي – نتيجة انشغاله بحرب اليونان – اعتذر عن توسُّطه لدى الباب العالي في هذا الوقت، كما ذُكِرَ آنفًا.

على أيَّة حال، ففي (أوَّل ربيع الأوَّل ١٢٤٣هـ/ أواخر سبتمبر ١٨٢٧م)، خَرَجَ مصطفى آغا بَرْبَر من الشُّويفات، ولعلَّ خروجه كان بتأييد من الأمير بشير، ولعلَّه أخبره أنه إذا حط رحاله عند الباشا فسوف يحقق له رغباته كما فعل معه من قبل، وعندما وصل بيروت ركب في إحدى سُفُن مُحمَّد علي التي تتردَّد على المدينة، «وسار إلى مصر يلتجئ إليه بأن يستعطف الدَّوْلة العلِيَّة عليه بردِّ أرزاقه المضبوطة في إيالة طرابلس، وحين وصوله إلى القاهرة قابل واليها، فحصل منه على إكرام زائد، وأمر له بعلوفات زائدة، وطمَّن خاطره، وأنَّه لا بُدَّ يحصل على كُلّ ما طالبه»[٢]، وعيَّن له دارًا وسيعة لإقامته داخل القاهرة، ورتَّب له خمسة الآف قرش معاشًا شهريًّا[٣].

وللأسف فلم يكد بَرْبَرْ آغا يصل إلى القاهرة حتَّى ترامت إلى مُحمَّد علي أخبار كارثة نفارين في (ربيع الآخر ١٢٤٣هـ/ أكتوبر ١٨٢٧م)، التي دُمِّرَ فيها الأسطول المصري من قِبل القوى الأوروبيَّة، واضطر الباشا إلى سحب ما تبقى من قوَّاته[٤]؛ فترتَّب على ذلك تدهور عَلاقته مع السُّلطان محمود الثَّاني، ولم يستطع مُحمَّد علي أن يتشفَّع في مصطفى آغا بَرْبَرْ، ولعلَّ هذه الفترة تذكرنا بلجوء مُحمَّد أبو نبُّوت إلى مُحمَّد علي مرَّة أخرى – كما ذُكِرَ آنفًا – وعدم تمكُّنه من التَّشفُّع فيه نظرًا لتدهور عَلاقته بالسُّلطان،

---

[٢] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٨٩؛ خالد مصطفى مُرعب، **العَلاقات بين الإمارة المُرْعَبيَّة في عكار والإمارة الشهابيَّة في جبل لبنان ١٧١٤–١٨٤٠م** (طرابلس: دارُ مكتبة الإيمان، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م): ٨١.

[٣] حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين:** ٧٨٩.

[٤] نوفل بن نعمة الله الطَّرابُلسي، **كشفُ اللثام عن مُحيَّا الحكومة والأحكام:** ٦٤٦–٦٤٧.

[٥] أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٣٣٠.

وبخاصَّة بعد تقاعسه عن المُشاركة في الحرب التي اندلعت بين الدَّوْلة العُثمانيَّة وروسيا عام (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م)[١]، التي انتهت بهزيمة العثمانيين.

وبقي مصطفى آغا بَرْبَرْ في القاهرة في معية مُحمَّد علي، وكان الخلاف الذي وقع بين السُّلطان والباشا سببًا في نجوة مصطفى بَرْبَر من غضب الدولة وأمرها بقطع رأسه، واستفاد مُحمَّد علي من وجوده في معرفة الأوضاع في المناطق الشَّمالِيَّة من الشَّام، وحينما أعدَّ حملته على الشام في عام (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) بقيادة ابنه إبراهيم باشا كان مصطفى بَرْبَرْ في طليعة المشاركين فيها، سعيًا في رجوعه على منصبه في ولاية طرابلس، وقد شارك في حصرا مدينة عكا الحصية، واستفاد القائد إبراهيم منه كثيرًا في الاستيلاء على المدن الشاميَّة، وكافأهُ مُحمَّد علي بأن أسند إليه ولاية طرابلس[٢].

---

[٢] صَلاح أحمد هَريدي علي، «قيام الحرب الرُّوسِيَّة العُثمانيَّة ١٨٢٨–١٨٢٩م» (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدّراسات التَّاريخيَّة، **مجلَّة وقائع تاريخيَّة**، ع. ٣٢، ج. ٢، جُمادى الأولى ١٤٤١هـ/ يناير ٢٠٢٠م): ١٠٩ وما بعدها.

[٨] أسد رُسْتم، **الأصول العربيَّة لتَّاريخ سورية في عهد مُحمَّد علي باشا**، مج ١٠ (بيروت: منشورات كليَّة العلوم والآداب، الجامعة الأمريكيَّة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م): ١١٨، ١١٩، ١٣٨؛ أغناطيوس طنُّوس الخُوري، **مصطفى آغا بَرْبَر حاكم طرابلس**: ٢٢١ وما بعدها.

خاتمةُ البحث ونتائجه

تبوَّأت مصر مكانة بارزة عقب أن وليها مُحمَّد علي، الذي نجح في انتشالها من غياهب الفتن التي كانت تضربها لسنوات طوال، وجعلها ولاية قويَّة لها مركزها في الدَّوْلة العثمانيَّة، نتيجة تحديثاته في كافة مناحي الحياة، وفي الوقت ذاته ارتفع شأنه بما أدَّاه من مُهِمَّات مصيرية لخدمة الدَّولة؛ فأنقذها من عَثرتِها التي أقَضَّتْ مضاجعها، وصار بمثابة اليد الطَّائعة للسُّلطان في حُروبه التي خاضها في بلاد العرب وبلاد اليونان، ونتيجة لذلك حَظِيَ الباشا بمكانةٍ مرموقةٍ لم ينالهَا أي والٍ آخر مُنذ أن باتت مصر ولاية عثمانيَّة، ومن ناحية أُخرى أضحى الباشا أقوى والٍ على الإطلاق في الدَّوْلة في ذلك الزَّمان، وفي عهده ارتفع ثقل مصر الدُّولي، وأصبح لها شخصية متميزة بتعاملها مع الدُّول الأوروبيَّة. ووفق هذه الرُّؤية فقد استمدَّت مصر قوَّتها حينئذٍ من قوَّة مُحمَّد علي، مِمَّا أهَّلها أن تصبح ملجأ آمنًا وملاذًا للمغضوب عليهم، الذين أعدُّوا مُحمَّد علي مسموع الكلمة في الدَّوْلة، وبيده أن يتشفَّع فيهم ليرفع عنهم العقاب وينالوا العفو. وقد أفْضَى البحث إلى عدَّة نتائج، وهي:

ظهر أنَّ أسباب لجوء القادة إلى مصر بسبب مكانة مُحمَّد علي باشا لدى السلطان العثماني، وكان يستقبل اللاجئين إلى مصر استقبالًا جيدًا وينزلهم منازلهم.

١. تباينت قبول شفاعة محمد علي في اللاجئين باختلاف الفترة الزمنية التي جاء اللاجئ فيها إلى مصر وارتباط ذلك بالازدياد المستمر في مكانة لدى الدولة العثمانية، ونلحظ الآتي:

أ. في بداية حكم محمد علي، نحو عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م)، جاء محمد باشا أبو مرق لاجئًا إليه، ولكن لم يستطع محمد علي أن يطلب الشفاعة، لأنَّه لم يكن بلغ مكانة مهمة عند السلطان تمنحه أن يطلب الشفاعة، أو أنَّه طلبها ورفضت من قبل السلطان، فالمصادر لا تعطينا صورة واضحة في ذلك، ولكن الأرجح أن الباشا لم يكن يستطع أن يطلب ذلك وهو نفسه ما يزال على المحك والسُّلطان يريد أن يعزله من ولاية مصر.

ب. بعد أن زادت مكانة محمد علي، نتيجة تحضيره لقيادة الحملة المصرية على الوهابيين في الجزيرة العربية لاسترداد الحرمين الشريفين منهم، جاء يوسف باشا كنج والي الشَّام لاجئ إليه، عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)، وقد طلب من

السُّلطان العفو عنه، ونجح في نهاية الأمر في العفو عنه في جزء واحد فقط، وهو العفو عن قتله ومصادرة أمواله، ولكن رفضت الشفاعة فيه بإعادته إلى حكم ولاية الشام أو حتى التعيين في ولاية أخرى.

ت. بعد أن حقَّق مُحمَّد علي انتصارات ساحقة على الوهَّابيين في الحجاز، وتمكَّن من استرداد الحرمين الشريفين، ودخل الدرعية عاصمة الوهابيين، ودمرها عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، جائه والي يافا مُحمَّد أبو نبُّوت، وقد تشفَّع فيه محمد علي عند السلطان، فعفا السلطان عنه عفوًا كاملًا، وهو العفو عن قتله وعن مصادرة أمواله، ولكن لم يرجع إلى حكم ولاية يافا، بل عيَّنه السُّلطان على ولاية أخرى في الدَّوْلة العُثمانيَّة.

ث. وفي عام (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)، جائه أشهر ولاة الدَّولة العثمانيَّة في الشام، وهو بشير الشهابي، الذي استقبله محمد علي استقبالًا عظيمًا، وتشفَّع فيه عند السلطان العثماني، ولأول مرة تقبل الشفاعة في رقبته، وماله، وتم إعادته إلى حكم لبنان مرَّة أخرى.

ج. وفي عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م) لجأ إلى مُحمَّد علي والي طرابلس مصطفى آغا بَرْبَر وقد استقبله الباشا وأنزله في القاهرة، ولكن لسوء علاقته مع السلطان لم يستطع أن يتشفَّع فيه.

٢. كافة القادة العثمانيين الذين لجئوا إلى محمد علي جاءوا من بلاد الشام، ولا ريب أن محمد علي استفاد من وجودهم في مصر بأن اطلَّع معلومات كثيرة، سهلت له غزوه بلاد الشام في مرحلة لاحقة بعد دخوله في عداء مع السلطان.

٣. إذا قسمنا القادة اللاجئين حسب مراكز حكمهم سوف نلحظ أنهم غطوا معظم الشام، فنرى أنَّ مُحمَّد أبو مرق ومُحمَّد أبو نبوت كلاهما حكم يافا وغزَّة، ويوسف كَنْج ولاية الشام، وبشير الشهابي جبل لبنان، ومصطفى آغا بربر طرابلس.

٤. استقبال محمد علي للقادة العسكريين كان واحدًا ولكن اختلفت الأماكن التي ينزلهم فيها، ففي حالة محمد أبو مرق، لم يستقبله في القاهرة، بل ظلَّ في دمياط حتى خروجه من مصر، وحالة يوسف كَنْج فقد استقبله في القاهرة، وكان على مقربة منه وينزل لزيارته، وحالة مُحمَّد بيك أبو نبوت أنزله هو الآخر في القاهرة، وأمَّا في حالة بشير الشهابي فقد أنزله في بني سويف ثم أشمون في صعيد

مصر، ولعل قرب أو بعد اللاجئ من القاهرة دلالة على الثقة التي يضعها محمد علي فيه، ومن ناحية أخرى فعدم استقباله بشير الشهابي في القاهرة، كان رغبة في إبعاده عن الاطلاع عن أية معلومات أو أخبار أثناء وجوده في مصر، ولذلك جاء مقره في الصعيد.

٥. وارتبط اللجوء إلى مصر بشفاعة محمد علي، وبعض القادة تشفَّع فيهم الباشا رغم عدم قدومهم إلى مصر، ولكن لأن مصيرهم ارتبط ببعض اللاجئين، فجاءت الشفاعة مزدوجة.

٦. اعتبر محمد علي شفاعته في اللاجئين إليه نوعًا من الوجاهة وفرض النفوذ والسيادة عند الباب العالي،

٧. اختلفت دوافع القادة في اللجوء إلى مصر، بسبب صداقة ربطت بينهما، مثل أبو مرق ويوسف باشا كنج، أو للمكانة التي وصل إليها محمد علي في الدولة العثمانية، مثل محمد أبو نبُّوت، الذي لجأ إلى مصر واستغلال الخلافات السابقة مع والي الشام، أو بناء على نصيحة من بعض المقربين مثل بشير الشهابي.

٨. ظروف اللجوء وفي مجملها يرجع إلى العزل من الولاية، ورفع الوزارة، ومصادرة الأموال، وقطع الرقبة، عدم تنفيذ أوامر السلطان، وكذلك كانت الخلافات بين الولاة.

٩. في البداية كان مُحمَّد علي يتشفَّع في بعض القادة على استحياء بعبارات الخضوع والتبعية ورغم ذلك فقد كان يتعرض للتعنيف من السلطان، وفي مرحلة لاحقة ومع ازدياد قوَّته ونفوذه أصبح يرى الشفاعة وقبولها حق مكتسب، وكان يستخدم عبارات في رسائله إلى الدولة يغشاها نوع من التحدي إذا لم تقبل شفاعته، وفي دوائر صنع القرار في إسطنبول استيائه من الجرأة التي صار يتحدَّث بها الباشا في رسائله.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – العدد التَّاسع عشر

ملحق رقم (١)

شفاعة مُحمَّد علي باشا في مُحمَّد أبو نبُّوت

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 666/32428 من مُحمَّد علي إلى الباب العالي، بدون تاريخ، والرَّاجح تاريخها بين (٧ رجب– ١٤ ذو القعدة ١٢٣٤هـ/ ٢ مايو– ٤ سبتمبر ١٨١٩م).

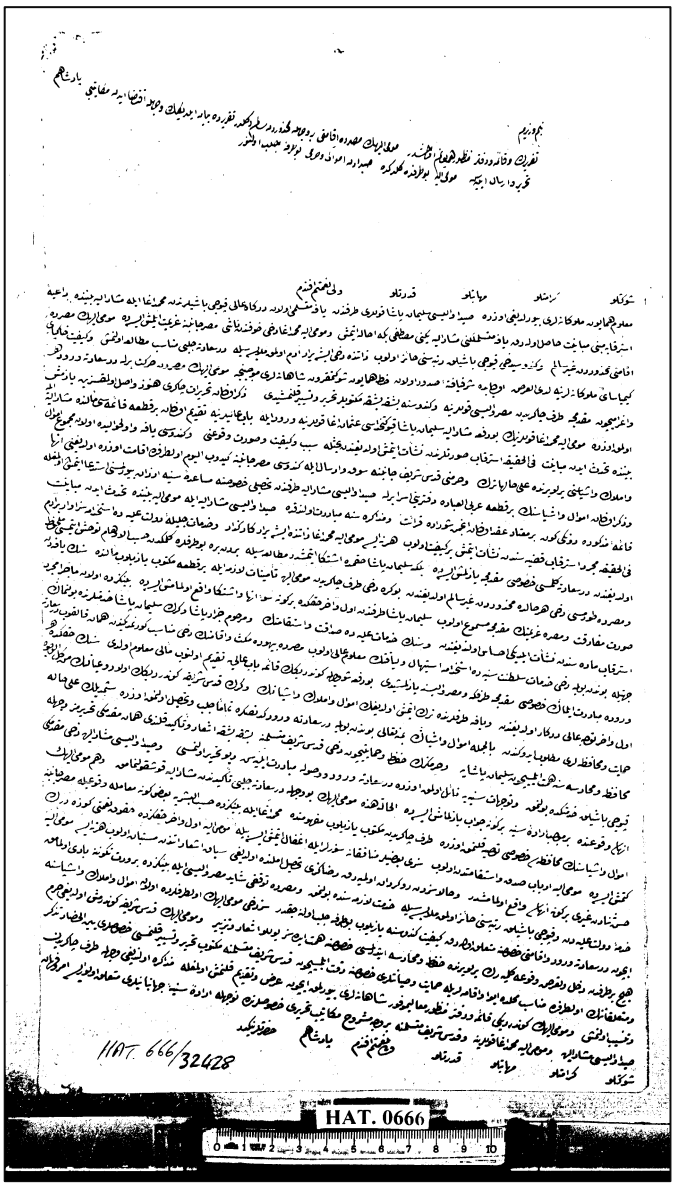

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – إبريل ٢٠٢٤م

ملحق رقم (٢)

شفاعة مُحمَّد علي باشا للمرَّة الثانية في مُحمَّد أبو نبُّوت

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 902/39639 رسالةٌ من مُحمَّد علي باشا إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخها (١٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٨٢٥م)

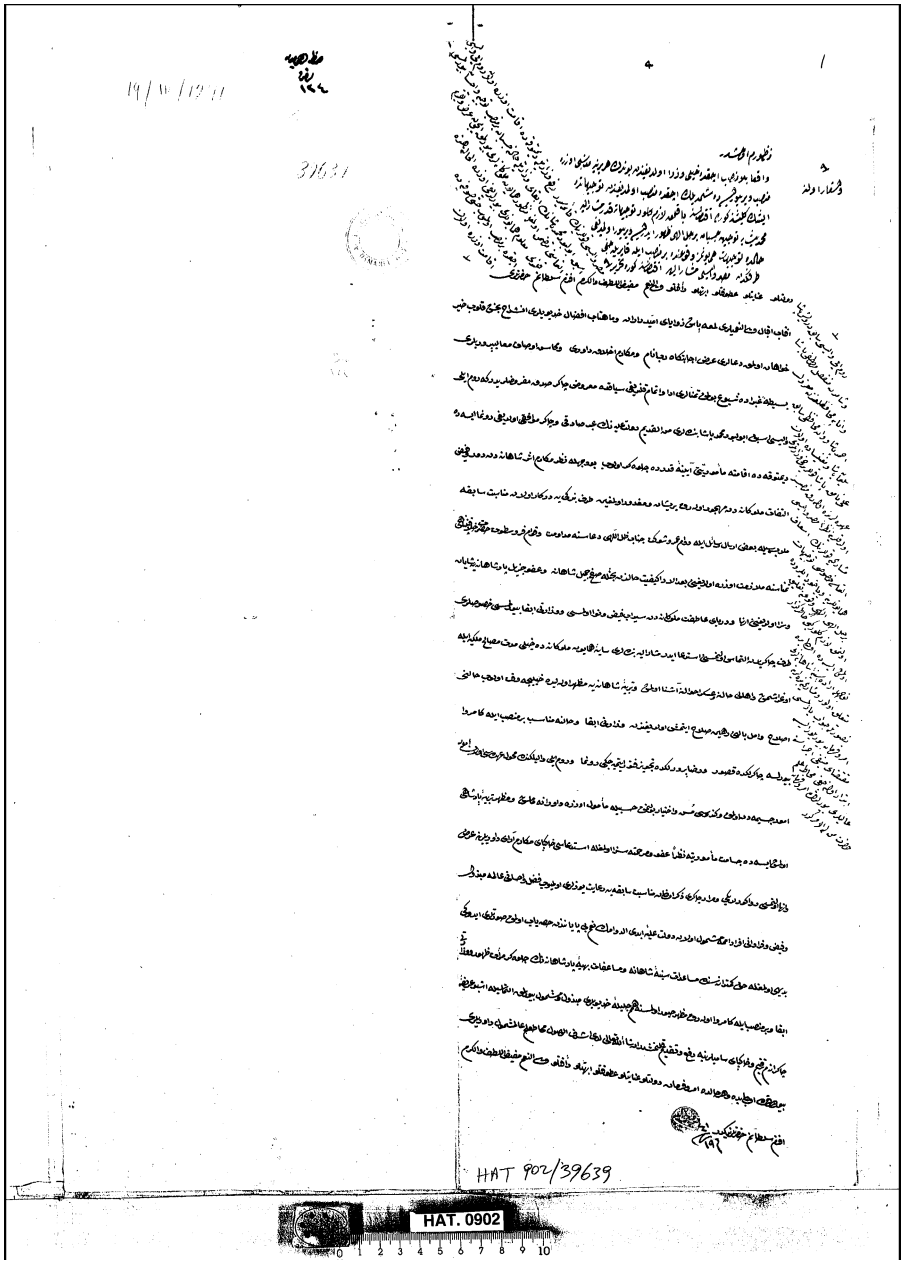

ملحق رقم (٣)

تقرير يفيد فوار الأمير بشير الشهابي إلى مُحمَّد علي

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 386/ 20672 من درويش باشا إلى الباب العالي بتاريخ (٨رجب ١٢٣٨هـ/ ٢٠ مارس ١٨٢٣م).

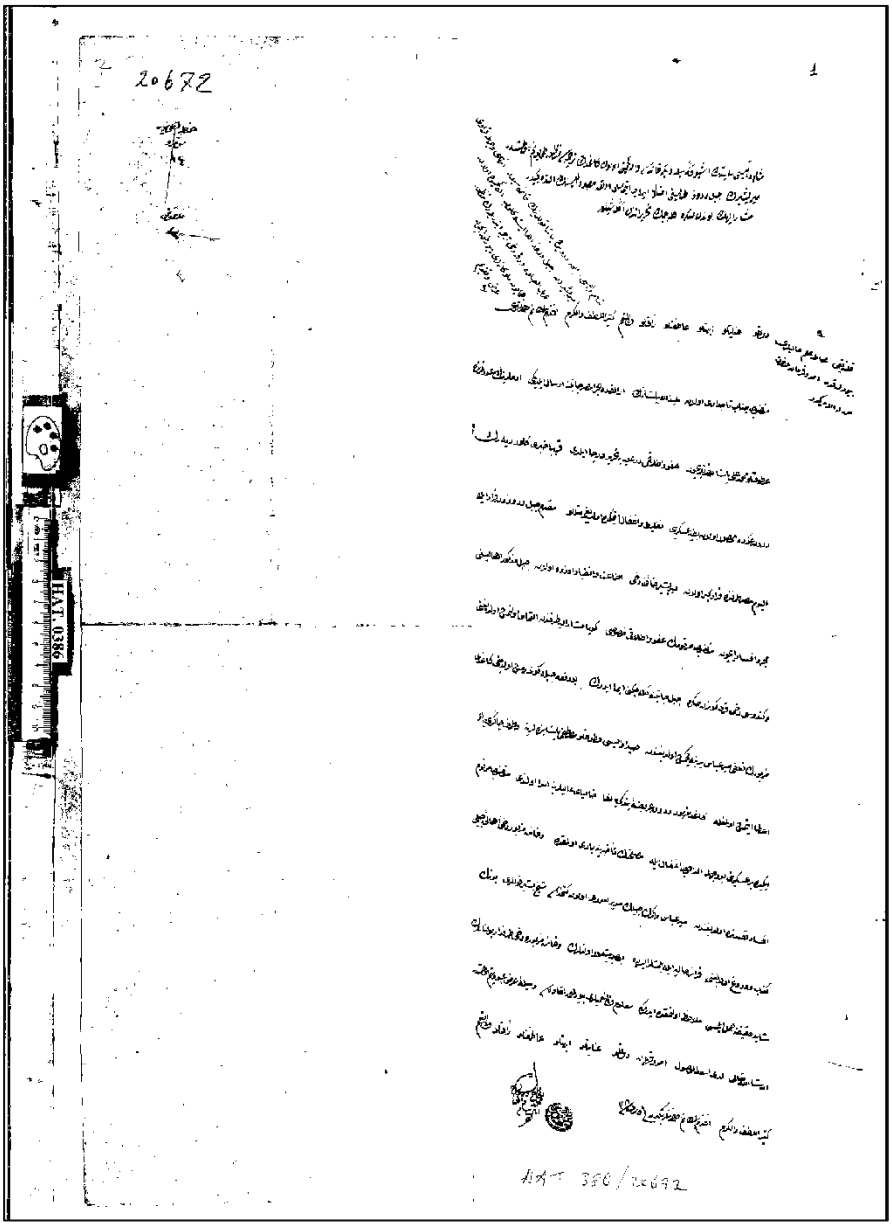

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – إبريل ٢٠٢٤م

ملحق رقم (٤)

من مواسلات الأمير بشير الشّهابي أثناء وجوده في مصر

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 386/ 20672A من بشير الشهابي إلى بيت أبو اللمع بتاريخ (٢٩ جُمادى الأولى ١٢٣٨هـ/ ١٠ فوابر ١٨٢٣م).

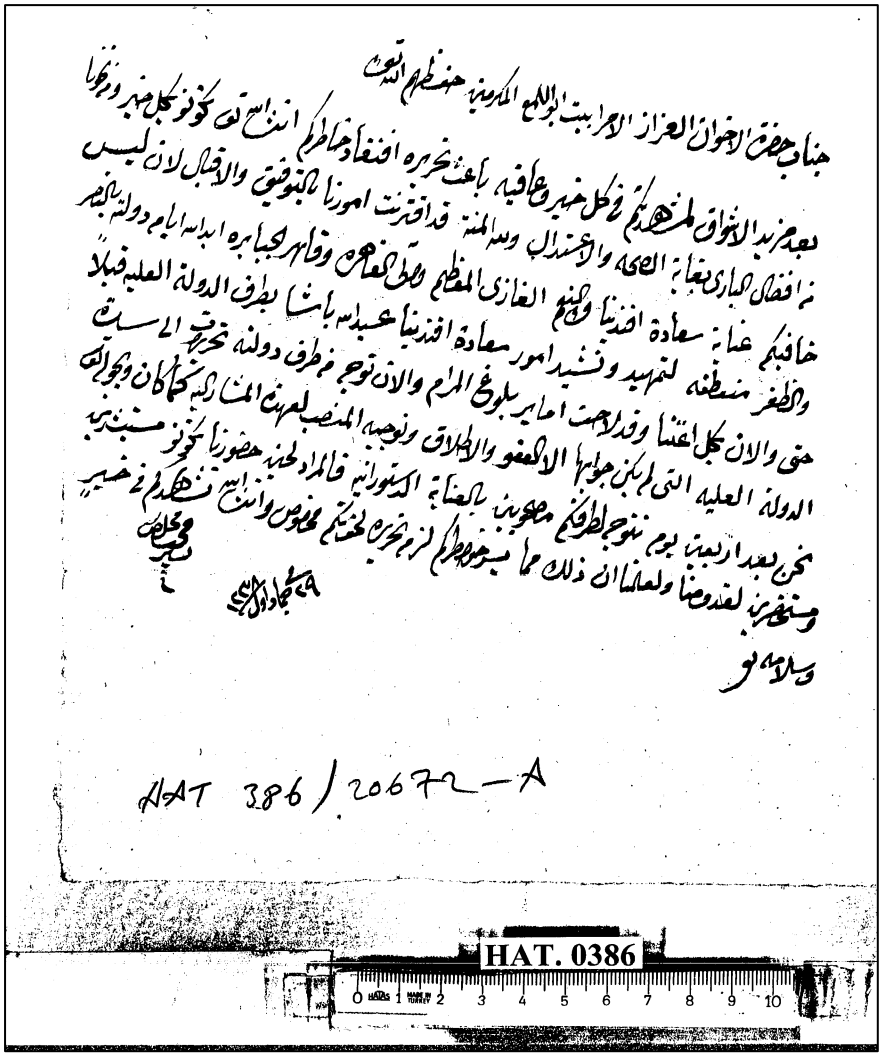

ملحق رقم (٥)

شفاعة مُحمَّد علي في عبد الله باشا والي عكا

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 385/ 20643B من محمد علي إلى الباب العالي بتاريخ (٢١ رمضان ١٢٣٨هـ/ ٣١ مايو ١٨٢٣م)

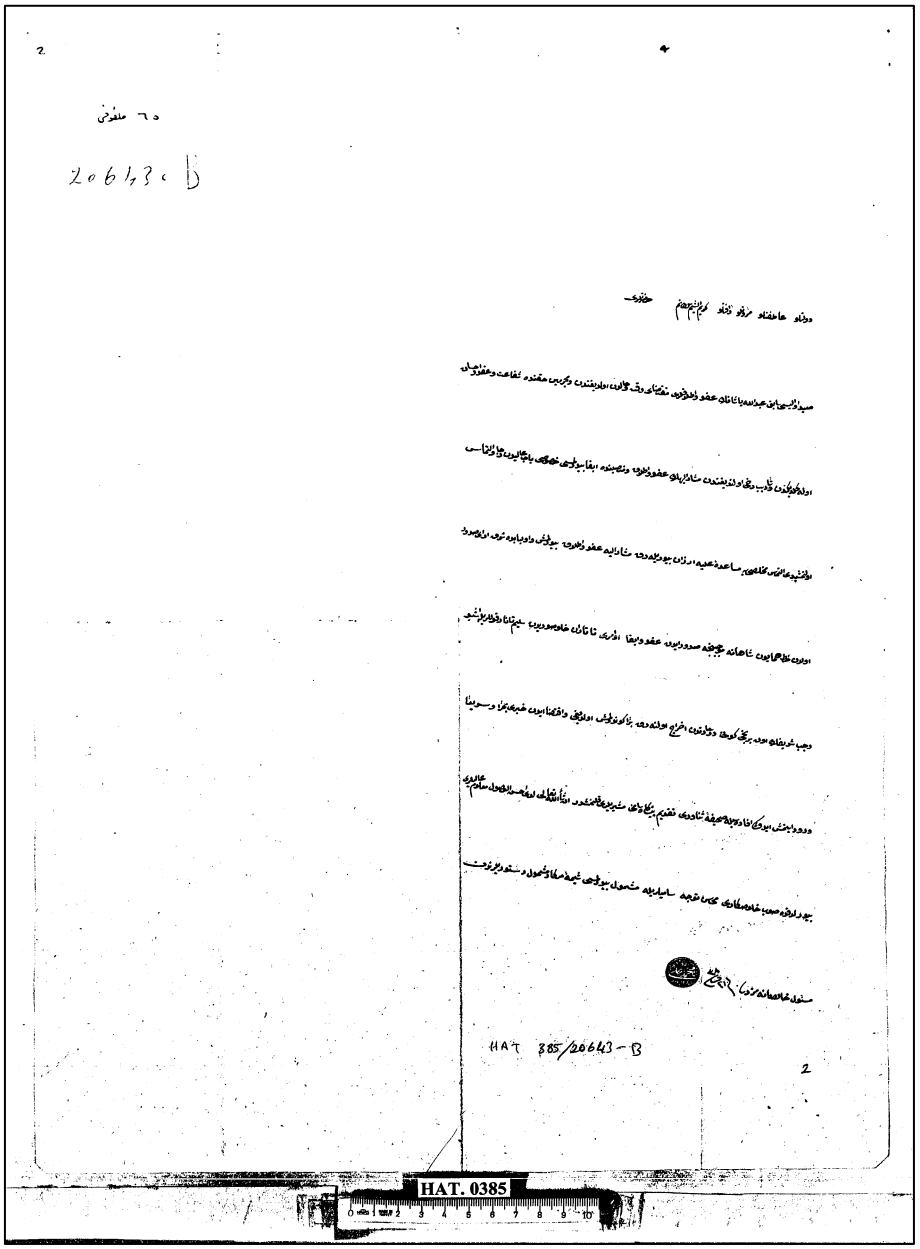

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة – إبريل ٢٠٢٤م

ملحق رقم (٦)

عبد الله باشا والي عكا يعلم الباب العالي بذهاب مصطفى بَرْبَرْ إلى الأمير بشير الشهابي ويستفسر فيما يجب عليه عمله

نقلًا عن: الأرشيف العثماني HAT. 545/ 26952C من عبد الله باشا والي عكا إلى الباب العالي بتاريخ (٢٩ المُحرَّم ١٢٤٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨٢٤م).

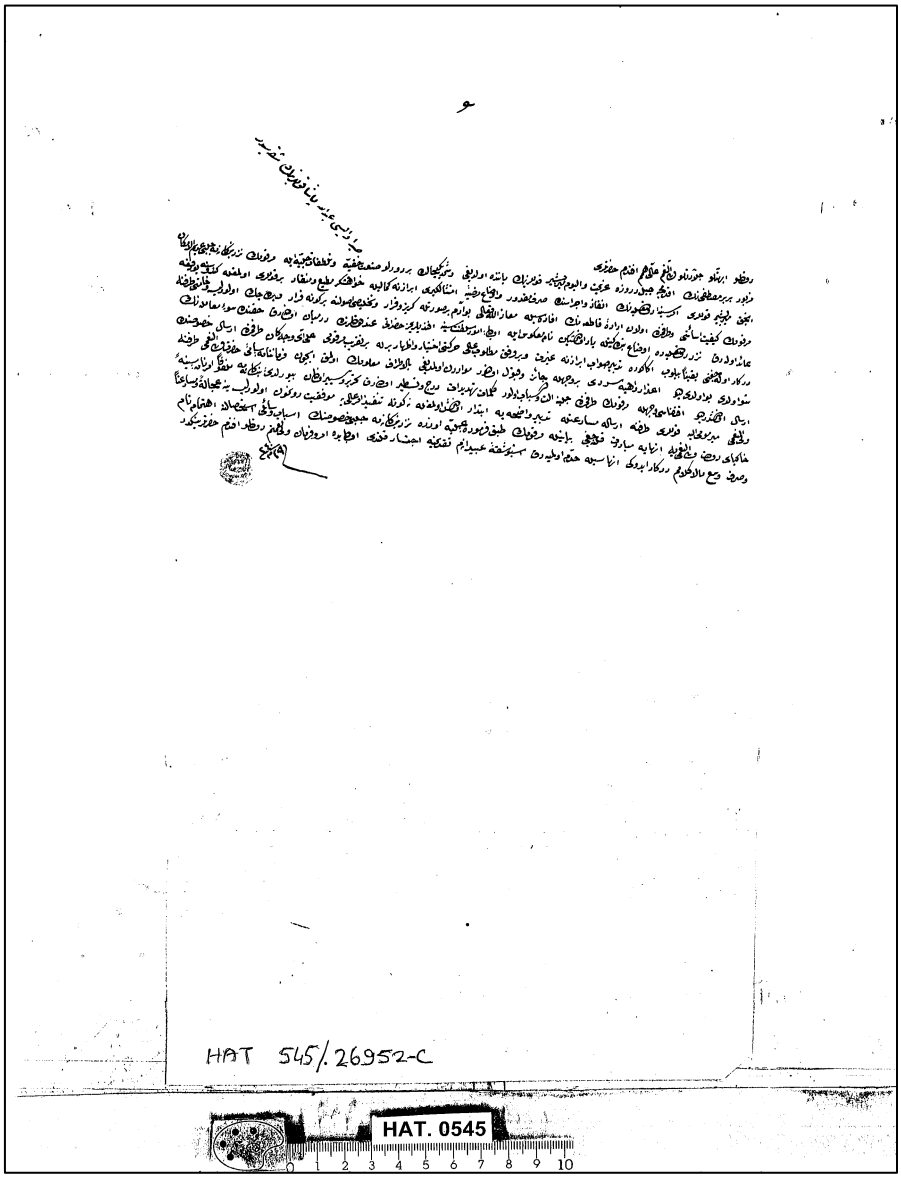

قائمة المصادر والمراجع

أولًا– الوثائق.

- الوثائق غير المنشورة.

- وثائق دار الوثائق القوميَّة بالقاهرة.

١. دفاتر معية تركي.

٢. محافظ بحر برا.

ميكروفيلم (٢١١).

ميكروفيلم (٢١٢).

- وثائق الأرشيف العثماني بإسطنبول.

***HAT*. 81/3363**، من سليمان باشا والي صيدا إلى الباب العالي، مؤرَّخة (١٥ شوَّال ١٢٢٠هـ/ ٦ يناير ١٨٠٦م).

HAT. 121/4907-D مُرسل مجهول إلى الباب العالي، بتاريخ (٢٩ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٢٠ مارس ١٨٠٦م).

HAT. 3840

HAT. 666/32428 من مُحمَّد علي إلى الباب العالي، بدون تاريخ. والرَّاجح تاريخها بين (٧ رجب – ١٤ ذو القعدة ١٢٣٤هـ/ ٢ مايو – ٤ سبتمبر ١٨١٩م).

HAT. 386/ 20672 من درويش باشا إلى الباب العالي بتاريخ (٨رجب ١٢٣٨هـ/ ٢٠ مارس ١٨٢٣م).

HAT. 386/ 20672A من بشير الشهابي إلى بيت أبو اللمع بتاريخ (٢٩ جُمادى الأولى ١٢٣٨هـ/ ١٠ فوراير ١٨٢٣م).

HAT. 385/ 20643B من محمد علي إلى الباب العالي بتاريخ (٢١ رمضان ١٢٣٨هـ/ ٣١ مايو ١٨٢٣م).

HAT. 545/ 26952C من عبد الله باشا والي عكا إلى الباب العالي بتاريخ (٢٩ المُحرَّم ١٢٤٠هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨٢٤م).

HAT. 902/39639 رسالةٌ من مُحمَّد علي إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخها (١٩ ربيع الآخر ١٢٤١هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٨٢٥م).

HAT. 278/16342 التماس من مُحمَّد أبو نبُّوت إلى السُّلطان محمود الثَّاني، بتاريخ (شوَّال ١٢٤٠هـ/ مايو ١٨٢٥م).

HAT. 503/ 42725 فرمان عزل مُحمَّد أبو نبُّوت من ولاية الرُّوملي، تاريخها في حدود (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م).

HAT. 789/36782 من داود باشا والي بغداد إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخها (٢٣ المُحرَّم ١٢٤٤هـ/ ٤ أغسطس ١٨٢٨م).

HAT. 443/22234 فرمان سُلطاني بعزل مُحمَّد باشا أبو نبُّوت والي ديار بكر، تاريخه (٢٩ رمضان ١٢٤٣هـ/ ١٣ أبريل ١٨٢٨م).

HAT. 445/22280 تقرير من مُحمَّد صالح إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخه (١٤ رمضان ١٢٤٣هـ/ ٢٩ مارس ١٨٢٨م).

HAT. 443/22234 A تقرير من مُحمَّد صالح إلى السُّلطان محمود الثَّاني، تاريخه (١٥ رمضان ١٢٤٣هـ/ ٣٠ مارس ١٨٢٨م).

دفتر مُهِمَّة مصر، رقم (١١)، حُكم (٤٦٣)، من الباب العالي إلى خورشيد أحمد باشا.

- الوثائق المنشورة.

١) إدوارد دريو، **مُحمَّد علي باشا ونابليون ١٨٠٧-١٨١٤م: مراسلات قناصل فرنسا في مصر**، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، مُراجعة وتقديم: رءوف عبَّاس حامد (القاهرة: المركز القومي للتَّرجمة، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٢) أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة المصرية: بيان بوثائق الشَّام وما يُسَاعد على فَهْمِهَا ويُوضِّح مقاصِد مُحمَّد علي الكبير**، مج. ١ (بيروت: المطبعة الأميركيَّة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).

٣) **الأوامر والمُكاتبات الصَّادرة من عزيز مصر مُحمَّد علي**، ج. ١، تحقيق: عماد أبو غازي وآخرين، إشراف: رءوف عبَّاس حامد (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤) **السُّلطة وعرض حالات المظلومين من عصر مُحمَّد علي ١٨٢٠-١٨٢٣م**، إعداد ودراسة: ناصر عبد الله عثمان (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٥) **فهد بُطْرس، تاريخ الرَّهْبانيَّة اللُّبنانيَّة المَارُونيَّة بفرعيها الحَلبيّ واللُّبنانيّ ١٨٠٨-١٨٥٩م، ج.** ٦ (جونيه، لبنان: مطبعة الكريم الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

ثانيًا– المخطوطات

١) نوفل بن نعمة الله بن نوفل بن جرجس الطَّرابُلسي، **كشفُ اللثام عن مُحيَّا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشَّام منذ افتتحتهما الدَّوْلة العَلِيَّة إلى أن امتازت مصر بالحكومة الوراثيَّة وانتظمت برّ الشَّام في التَّنظيمات الخيريَّة** (بيروت: **مخطوط** بمكتبة الجامعة الأمريكيَّة، محفوظ برقم «T١٧٦kA :٩٥٦»، نُسِخَ بتاريخ ١٣١٠هـ/ ١٨٩٠م).

ثالثًا– المصادر المطبوعة.

- المصادر العربيَّة

١) إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سُليمان باشا العادل: يشتمل على تاريخ فلسطين ولبنان ومدنه وبلاد العلويين والشَّام**، نشره وعلَّق عليه وألْحقه بعدَّة سندات: الخوري قسطنطين الباشا المُخلِّصي (صيدا: مطبعة دير المُخلِّص، ط ١، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م).

٢) أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م).

٣) أنطونيوس أبي خطار العَيْنطُورِيني، **مُختصر تاريخ جبل لبنان**، نشره لأوَّل مرَّة مع دَرْس وتعاليق: أغناطيوس طنوس الخُوري (بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة، ط ١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).

٤) جُرجي يني، **تاريخ سوريا** (بيروت: المطبعة الأدبيَّة، ط ١، ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م).

٥) حسن آغا العبد، **تاريخ حسن آغا العبد: قطعة منه حوادث سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١هـ**، حقَّقه: يوسف جميل نعيسة (دمشق: منشورات وزارة الثَّقافة والإرشاد القومي، سلسلة إحياء التُّراث العربي (٥٢)، د. ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٦) حكمت بك شريف، **تاريخ طرابلس الشَّام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيَّام**، حَقَّقه وعَلَّق حَواشِيه وفَهَارِسه وقدَّم لهُ: مُنى حدَّاد يكن، مارُون عيسى الخُوري (طرابلس: دارُ حكمت شريف ودار الإيمان، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٧) حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين: وهو الجزء الثَّاني والثَّالث من كتاب الغُرر الحِسان فِي أخبار أبناء الزمان**، عُني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مُقدّمته وفهارسه: أسد رُسْتم وفؤاد إفرام البُستاني (بيروت: منشورات مديريَّة المعارف العامَّة والفنون الجميلة، المطبعة الكاثوليكيَّة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

٨) رُسْتم باز، **مُذكرات رُسْتم باز**، حقَّق نصَّها ونشرها مع مُقدِّمةٍ وحواشٍ وفهارس: فؤاد إفرام البُسْتانيُّ (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة، قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رَقْم «١»، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

٩) رَسْلان بن يحيى القاري، **الوزراء الذين حكموا دِمشق**، منشورٌ في كتاب ولاة دمشق في العهد العثماني، جمعها وحقَّقها ونَشَرها: صلاح المنجد (دمشق: د. ن، د. ط، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).

١٠) طنُّوس الشِّدْياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج. ٢، نَظَرَ فيه ووَضَعَ مُقدِّمته وفَهَارسه: فؤاد إفرام البُسْتانيُّ (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة، قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رَقْم «١٩»، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

١١) عبد الرَّحمن بن حسن الجَبَرْتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ٤ أجزاء، تحقيق: عبد الرَّحيم عبد الرَّحمن عبد الرَّحيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

١٢) عبد الرَّحمن بن حسن الجَبَرْتي، **مَظهرُ التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، تحقيق: عبد الرَّحيم عبد الرَّحمن عبد الرَّحيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

١٣)مخائيل مشاقَّة، **مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان**، منشئاهُ: ملحم خليل عبدو، وأندراوس حنَّا شخاشيري (مصر: د. ن، د. ط، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).

١٤)ميخائيل الدمشقي، **تاريخ حوادث الشَّام ولبنان من سنة ١١٩٢ إلى سنة ١٢٥٧هجرية (١٧٨٢-١٨٤١مسيحية)**، عُني بنشرهِ وتعليق حواشيه ووضع فهارسه: لويس معلوف اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين، ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م).

١٥)نعمَان قساطلي، **الرَّوْضَة الغنَّاء في دِمشق الفيْحاء** (بيروت: د. ن، ط ١، ١٢٩٩هـ/ ١٨٧٩م).

- **المصادر التُّركية العثمانيَّة**

١) أحمد جَوْدت، **تاريخ جَوْدت**، ج. ٧ (درسعادت: ايكَنْجي طبعي، مطبعة عثمانيه، ترتيب جديد، ط ٢، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م).

٢) مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني ياخود تذكرهٔ مشاهير عثمانيه**، ج. ٣ (إستانبول: مطبعهء عامره، أولنمشدر، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م).

٣) شاني زاده مُحمَّد عطاء الله أفندي، **شاني زاده تاريخي**، ج. ٢ (إستانبول: ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م).

- **المصادر المُترجمة**

١) إدوار جُوان، **مصر في القرن التَّاسع عشر**، تعريب: محمود مسعود (القاهرة: د. ن، ط ١، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م).

٢) رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء فِي تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، نقله عن التُّركيَّة: مُوسى كاظم نورس (بيروت: دارُ الكاتب العربي، د. ط، د. ت).

٣) عزت حسن أفندي الدارندلي، **الحملة الفرنسيَّة على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوطة ضيا نامه**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين (١٣٤)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

رابعًا– المراجع.

- المراجع العربيَّة

١) أحمد فؤاد متولي، **آل سُعود والشَّام في عهد الدَّوْلة السُّعودية الأولى على ضوء الوثائق التركيَّة** (القاهرة: دارُ الزَّهراء للنَّشر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢) أسد رُسْتم، **بشير بين السُّلطان والعَزِيز ١٨٠٤–١٨٤١م** (بيروت: منشورات الجامعة اللُّبنانيَّة قسم الدِّراسات التَّاريخيَّة، رقم «٢»، ط ٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٣) إسطفان ضو، **حَديقة الجنان في تاريخ لبنان**، ج. ٢ (لبنان: المطبعة الجامعة، ط ١، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م).

٤) إسماعيل حقّي، **لُبْنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، ج. ١ (بيروت: المطبعة الأدبيَّة، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م).

٥) أغناطيوس طنُّوس الخُوري، **مصطفى آغا بَرْبَر حاكم طرابلس وجبلة ولاذقِيَّة العرب ١٧٦٧–١٨٣٤م** (طرابلس: منشورات مجلَّة السَّنابل، ط ١، د. ت).

٦) إميل خوري وعادل إسماعيل، **السِّياسة الدُّوليَّة في الشَّرق العربي**، ج. ٢ (بيروت: مطبعة صادر، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

٧) بُطْرس خويري، **تاريخ الرِّسالة المارُونيَّة في القُطْر المصري ١٧٤٥–١٩٢٧م** (القاهرة: مطبعة يوسف كوى، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).

٨) بُطرس ف. صفير، **الأمير بشير الشِّهابي: طَرائف عن حَياته وأحكامه وأخْلاقه** (بيروت: دارُ الطِّباعة والنَّشر اللُّبنانيَّة، ط ١، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م).

٩) حسن إبراهيم سعيد، **يافا من الغزو النَّابليُوني إلى حملة إبراهيم باشا ١٧٩٩–١٨٣١م**، تقديم: عصام نصَّار (بيروت: مُؤسَّسة الدِّراسات الفلسطينيَّة، سلسلة المُدن الفلسطينيَّة رَقْم «٦»، ط ٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

١٠) خالد مصطفى مُرْعَب، **الإمارة المُرْعَبِيَّة: امتدادها الجُغرافي وتطوُّرها السياسي حتَّى سنة ١٨٤٠م**، ج. ١، أشرف عليه وكتب بعض أبحاث: فاروق حبلص (طرابلس: دار البُخاري، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م):

١١) ـــــــــــــــ، **العَلاقات بين الإمارة المُرْعَبِيَّة في عكار والإمارة الشهابيَّة في جبل لبنان ١٧١٤–١٨٤٠م** (طرابلس: دارُ مكتبة الإيمان، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

١٢) زينب عصمت راشد، **كريت تحت الحُكْم المصري ١٨٣٠–١٨٤٠م** (القاهرة: الجمعيَّة المصريَّة للدِّراسات التَّاريخيَّة، ط ١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١٣) طاهر أديب قليوبي، **عائلات وشخصيَّات من يافا وقضائها** (بيروت: المُؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

١٤) عادل منَّاع، **أعلامُ فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠–١٩١٨م** (بيروت: مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينيَّة، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

١٥) عَارف أحمد عبد الغَني، **تاريخ أُمراء المدينة المُنوَّرة** (دمشق: دارُ كنَان للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

١٦) عبد الرَّحمن زكي، **التَّاريخ الحربي لعصر مُحمَّد علي باشا** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).

١٧) عبد العزيز سليمان نوَّار، **داوُد باشا والي بغداد** (القاهرة: دار الكاتب العربي، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

١٨) عبد اللَّطيف الطَّيباوي، **مُحاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، ج. ٢ (بيروت: دار الأندلس للطِّباعة والنَّشر، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

١٩) عبُّود الصَّبَّاغ، **الرَّوض الزاهر في تاريخ ظاهر**، تحقيق: مُحمَّد عبد الكَريم محافظة، وعِصام مصطفى هزايمة (أربد: دار الكندي للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٢٠) عُثمان مصطفى الطباع الغزّي، **إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزَّة**، مج. ٤، تحقيق ودراسة: عبد اللَّطيف زكي أبو هاشم (غزَّة: مكتبة اليازجي، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٢١) علي الوردي، **لمحات من تاريخ العراق**، ج. ١ (قُم: انتشارات الشَّريف الرضي، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٢٢) علي حسن البواب، **موسوعة يافا الجميلة**، مج. ١ (بيروت: المُؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٣) علي عفيفي علي غازي، **الجزيرة العربيَّة والعِراق في استراتيجيَّة مُحمَّد علي** (بيروت: دارُ الرافدين، ط ١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م).

٢٤) عُمر عبد العَزيز عُمر، **عبد الرَّحمن الجَبَرْتي ونِقُولا التُّرك: دراسة مُقارنة** (بيروت: جامعة بيروت العربيَّة، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م).

٢٥) فاروق حبلص، **أبحاث في تاريخ ولاية طرابلس إبان الحكم العثماني من خلال الوثائق الرسميَّة العثمانيَّة** (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشَّرقيَّة، سلسلة نُصوص ودراسات بيروتيَّة، رقم «١٢٠»، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٢٦) فاضل مهدي بيات، **دراساتٌ في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤيةٌ جديدةٌ في ضوء الوثائق والمصادر العثمانيَّة** (بيروت: دارُ المدار الإسلاميّ، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٧) لحد خاطر، **بين أمير وراهب** (لبنان: د. ن، ط ١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

٢٨) لطيفة مُحمَّد سالم، **الحُكم المصري في الشَّام** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٢٩) مُحمَّد الشِّشتاوي، **مُتنزَّهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني** (القاهرة: دارُ الآفاق العربيَّة، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٣٠) مُحمَّد رفعت رمضان، **علي بك الكبير** (القاهرة: دارُ الفكر العربي، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).

٣١) مُحمَّد مُحمَّد حسن شراب، **غزَّة هاشم: عروس الشَّام وثغر المرابطين** (بيروت: الأهلية للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣٢) مرفت أسعد عطا الله، **العَلاقات بين مصر ولُبنان في عهد مُحمَّد علي** (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين «٢٥٥»، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٣٣) مسعود ضاهر، **الهجرة اللُّبنانيَّة إلى مصر: هجرة الشَّوام** (بيروت: الجامعة اللُّبنانيَّة، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٣٤) مصطفى مراد الدَّبَّاغ، **بلادُنا فلسطين: في الدِّيار اليافيَّة**، ج. ٤، ق. ٢ (كفر قرع، حيفا: دارُ الهُدى، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٣٥) مؤلف مجهول، **تاريخ الأُمراء الشهابيين**، نَظَر فيها ونقَّحها ووَضَع فهارسها: سليم حسن هشي (بيروت: دارُ لحد خاطر، ط ٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣٦) ميخائيل بُطرس، **المُعَلِّم بُطرس كَرامَة شَاعر الأمير بشير الشِّهابي الكبير** (حِمْص: د. ن، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

٣٧) ياسين خَير الله العُمري الخطيب الموصلي، **غايةُ المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السَّلام** (بغداد: دار منشورات البصري، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٣٨) يعقوب سركيس، **مباحث عراقيَّة في الجغرافية والتَّاريخ والآثار وخطط بغداد**، تقديم: مُحمَّد رضا الشبيبي (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط ١، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

٣٩) يوسف عزّ الدين، **داوُد باشا ونهاية المماليك في بغداد** (بغداد: دار البصري، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

- المراجع الأجنبيَّة

١) Basil C, Gounaris, "Macedonia", ***The Greek Revolution: A Critical Dictionary***, Edited by: Paschalis M. Kitromilides, Constantinos Tsoukalas (London: the Belknap Press of Harvard University Press, 2021).

٢) Samuel Tolkowsky, ***The gateway of Palestine: a history of Jaffa*** (New York: A.& C. Boni, 1925).
٣) Thomas Gordon, ***History of the Greek Revolution: And of the Wars and Campaigns***, 2 vol (London: William Blackwood, Edinburgh, and T. Cadell, Strand, 1832).
٤) Thomas Philipp, ***Acre: The Rise and Fall of a Palestinian City 1730-1831*** (New York: Columbia University Press, 2001).

- المراجع المُترجمة

١) آتيلا جتين، **رؤية الوثائق العثمانية ولاية مُحمَّد علي باشا على مصر عام ١٨٠٥م**، ترجمة: مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد (بيروت: عالم الأدب، ط ١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م).
٢) تشارلز بيلافيتش، وبربارا بيلافيتش، **تفكِيك أوربا العُثمانيَّة: إنشاء دول البلقان القوميَّة** (١٨٠٤–١٩٢٠)، ترجمة: عاصم الدُّسوقي (القاهرة: دارُ العالم الثَّالث، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
٣) ثريَّا شاهين، **دورُ الكنيسة في هَدْم الدَّوْلة العثمانيَّة**، ترجمة: مُحمَّد حَرب (جدَّة: دارُ المنارة للنَّشر والتَّوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

خامسًا– الدَّوريات

١) أسامة مُحمَّد أبو نحل، «التَّهديد الوهَّابي على بلاد الشَّام وأثره في تولي سليمان باشا ولاية دمشق» (غزَّة: **مجلَّة جامعة الأزهر**، سِلسلة العلوم الإنسانيَّة، ع. ١، مج. ٩، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).
٢) بُطرس ساره اللُّبناني، وثائق أُنف (بيروت: **مجلَّة المَشْرق**، س. ٥٣، ع. ٣، أيَّار [مايو] – حَزِيرَان [يونية] ١٩٥٩م).
٣) بولس قرألي، «رحلة الأمير بشير الثَّانية إلى مصر» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٣، ج. ١، يناير– كانون الثاني ١٩٢٨م).

٤) بولس قرألي، «رحلة الأمير بشير الثَّانية إلى مصر» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٣، ج. ٢، فبراير (شباط) ١٩٢٨م).

٥) بولس قرألي، «مخطوطة ثمينة عن حملة إبراهيم باشا المصري على سوريا ١٨٣١–١٨٣٩م» (القاهرة: **المجلَّة السُّوريَّة**، س. ٢، ج. ٥، مايو ١٩٢٧م).

٦) عُمر عبد العَزيز عُمر، «العَلاقات المِصريَّة اللُّبنانيَّة فيما بين ١٨٢٢–١٨٤٠م» (الإسكندريَّة: **مجلَّة كلية الآداب**، جامعة الإسكندريَّة، عدد ٢٦، لسنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٧) كارين صادر، «مصطفى آغا بَرْبَر وقفزة من الحَفاء إلى الحُكم» (دِمشق: **مجلَّة المعرفة**، وزارة الثقافة السوريَّة، س ٤٥، ع. ٥١٩، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ كانون الأوَّل ٢٠٠٦م).

٨) حسين سلمان سليمان، «علي باشا الأسعد المُرْعَبِيُّ ودوره في تاريخ ولاية طرابلس الشَّام» (بيروت: **مجلةَّ تاريخ العرب والعالم**، س. ١٥، ع. ١٥٥، مُحرَّم ١٤١٦هـ/ حزيران ١٩٩٥م).

٩) ليندا طنُّوس رزق، «الإمارة الشِّهابيَّة في ظلِّ الأمير بشير الثَّاني» (بيروت: **مجلَّة الحداثة**، ع. ١٩٥–١٩٦، خريف ٢٠١٨م).

١٠) مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد، «مُحمَّد باشا أبو مَرق وحملته على الدَّوْلة السُّعوديَّة الأُولى ١٢١٩–١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤–١٨٠٥م» (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، **مجلَّة الدَّارة**، ع. ٣، س. ٥٠، المُحرَّم ١٤٤٦هـ/ يوليو ٢٠٢٤م).

١١) يحيى مُحمَّد محمود، «الدبلوماسيَّة المصرية في الآستانة زمن مُحمَّد على باشا: دراسةٌ لدور نجيب أفندي ١٨١٣–١٨٣١م» (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات التاريخيَّة، **مجلَّة وقائع تاريخيَّة**، ع. ٢، جُمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ يوليو ٢٠٠٤م).

سادسًا– المعاجم والموسوعات

- المعاجم والموسوعات العربيَّة

١) أحمد السَّعيد سليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجَبَرْتي من الدَّخيل** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٢) أدهم آل جندي، **أعلام الأدب والفن**، ج. ٢ (دمشق: مطبعة الاتحاد، ط ١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

٣) جُرجي زيدان، **تَراجم مشاهير الشَّرق في القرن التَّاسع عشر**، ج. ١ (القاهرة: مُؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

٤) خليل مَرْدَم، **أعيان القرن الثَّالث عشر في الفِكر والسِّياسة والاجتماع** (بيروت: لجنة التُّراث العربي، ط ١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

٥) سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة، **آثار الأدهار، القسم الجغرافي، مج. ٢** (بيروت: المطبعة السُّوريَّة، ط ١، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٥م).

٦) عبد الرزَّاق البَيْطَار، **حِلية البشر في تاريخ أعيان القرن الثَّالث عشر**، ج. ٣، حقَّقه وعلَّق عليه: مُحمَّد بَهْجَة البَيْطَار (دِمشق: مطبوعاتُ مجمع اللُّغة العربيَّة، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

٧) مُحمَّد أمين الصُّوفي السُّكري، **سمير اللَّيالي**، ج. ١ (القاهرة: المكتبة الأهلية، ط ١، ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م).

٨) مُحمَّد مطيع الحافظ ونزار أباظة، **عُلماء دمشق وأعيانُها في القرن الثَّالث عشر الهجري**، ج. ١ (بيروت– دمشق: دار الفكر المعاصر– دار الفكر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩) ياسين سويد، **موسوعة تاريخ لُبنان السياسيّ والعسكريّ ج. ٢، الإمارة الشهابيَّة ١٦٩٧–١٨٤٢م** (بيروت: دارُ نوبليس، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

١٠) يوسف إليان سركيس، **مُعجم المطبوعات العربيَّة والمُعَرَّبة**، مج. ١ (مصر: مطبعة سركيس، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م).

- المعاجم التُّركية العثمانيَّة

١) شمس الدين سَامي، **قاموس الأعلام: تاريخ وجغرافيا لغاتنى وتعبير اصلحه كافهٔ اسماء خاصه يى جامعدر**، اوجنجى جلد (إستانبول: مهران مطبعه سى، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م).

- المعاجم المُترجمة

١) جيرار كورنو، **مُعجم المصطلحات القانونيَّة**، ترجمة: مصطفى القاضي (بيروت: المُؤسَّسة الجامعيَّة للدِّراسات والنَّشر، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م).

٢) علي صائب، **الجُغرافية المُفَصَّلة لِمَمَالك الدَّوْلة العُثمانيَّة**، ترجمة: جمعة بن أحمد بن أحمد الأنطاكي، إعداد: أحمد الشَّرقاوي وآخرين (القاهرة: دارُ البشير، ط ١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).